فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ مصر — الاثنين ٢٩ المحرم ١٣٢٩ — ٣٠ يناير (ك ١) سنة ١٢٨٩ه ١٩١١م ﴾

فاتحة المجلد الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك اللهم وانت ولي الحمد ، ولك الامر من قبل ومن بعد ، تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ، وتخلق الضعف من القوة وتخلق القوة من الضعف ، وتجعل العلم من الجهل وتجعل الجهل من العلم ، وتنصر الحق على الباطل ولا تنصر الباطل على الحق ، فللحق السلطان الأعلى ماوجد من يقوم به ، وانما بقاء الباطل في نوم الحق عنه ، وقد قلت وقولك الحق (١١ : ٤٨ إنَّ العَاقبةَ لِلمتقينَ * ١١ : ٤٥ وإنَّ وعدكَ الحقُّ وأنتَ أحكم الحاكمينَ)

احمدك اللهم وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، النبي الامي الذي بعثه في الاميين ، فزكاهم بالتأديب والتربية الفضلى ، وعلمهم الكتاب والحكمة العليا ، فكانوا بتربيته سادة العالمين، وبتعليمه أئمة العالمين، فاستجبت فيه دعوة أبيه ابراهيم(٢: ١٢٨ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

أحمدك اللهم وأسألك الرحمة والرضوان ، والبركة والاحسان، لآل نبيك الطاهرين ، وأصحابه الهادين المهديين، الذين ابتلوا في سبيلك فثبتوا وصدقوا ، وأوذوا لاتباع دينك فصابروا وصبروا ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم فهاجروا وهجروا ،والذين عاهدوا فوفوا وآووا ونصروا، ولمن اتبعهم باحسان ، على هداية السنة والقرآن ، أولئك هم الصالحون المصلحون ، والعاملون المخلصون (٩: ١٠١ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)

أحمدك اللهم وأسألك أن تهدينا صراطهم المستقيم ، وتقينا كما وقيتهم من كيد الشيطان الرجيم ، وتعيذنا كما أعذتهم من شر الوسواس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس، من شياطين الجن المستترين، وشياطين الانس الظاهرين، الذين يقعدون بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا ، الذين قطعوا حبل الرابطة التي آخيت بها بين المسلمين، ففرقوا بينهم في الجنس والوطن ومذاهب الدين ، فقالوا عربي وتركي ، ومصري وغير مصري ، وسني وشيعي ،

وأنت قلت وقولك الحق (٣ : ١٠٢ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ـ الى قولك الحكيم ـ ١٠٤ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

اللهم أنهم قد تفرقوا عن حقك ، وفرقوا بين من جمعتهم بالتوحيد من خلقك ، واتبعوا سنن من قبلهم ، في أيام فسادهم وجهلهم ، وقد عادوا أولئك المتفرقون الى الاتحاد ولم يعودوا ، وتابوا عن التعادي والخصام ولم يتوبوا ، فغيرت ما بهم ، لما غيروا ما بأنفسهم ، تصديقاً لكتابك ، وانفاذاً لسنتك ، غيرت تلك النعمة التي أنعمت بها على سلفهم من الملك الواسع ، والعز السابغ ، والمال الوافر ، وأدلت الدولة لسواهم ، وجعلتهم في حكمهم ورزقهم عالة عليهم ، ولا تزال بلادهم تنقص من أطرافها ، ويتغلغل نفوذ الأجانب في أحشائها ، وقد أتى عليهم حين من الدهر يسمعون نذر الزوال من كتاب الوحي ولا يزدجرون ، ويشاهدون عبر النكال في كتاب الكون ولا يعتبرون ، (٧٤ : ٤٩ فما لهم عن التذكرة معرضين ٢٣ : ٦٩ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين)

اللهم انك تعلم ان ما حل بالمسلمين بتركهم الاعتصام بكتابك ، واعراضهم عن سننك في خلقك ، قد جعله الناس شبهة على كتابك الحكيم ، ووسيلة للطعن في دينك القويم ، وما ظلمتهم ولكن كانوا هم الظالمين ، والقرآن هو حجتك عليهم أجمعين ، أمرهم بالاتحاد والاعتصام فتفرقوا ، ونهاهم عن الاختلاف فيه فاختلفوا ، ولا يزالون مختلفين ، الا من رحمتهم من المقربين (٥٦ : ١٣ ثلة من الأولين ١٤ وقليل من الآخرين)

ومن أصحاب اليمين ، (٥٦ : ٣٩ ثلة من الاولين ٤٠ وثلة من الآخرين)

اللهم إنك لم تذر المؤمنين الأولين على ما كانوا عليه، ولا تدع المسلمين على ما انتهوا اليه، بل مزت وتميز الخبيث من الطيب ، وزيلت وتزيل بين المفسد والمصلح ، ووفقت من شئت لنشر دعوة التوحيد والاعتصام ، بين جميع الشعوب والأقوام، اللهم فانصرهم وهم حزبك على أحزاب الشيطان، المفرقين بين المسلمين في المذاهب أو العناصر أو اللغات أو الأوطان، وقهم اللهم فتن السياسة ، وشرور زعمائها محبي الرياسة ، الذين يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، ولكنهم آثروا عليه الشهوة والهوى ، فيناضل فارسهم بسهام البهتان ، لا بالدليل والبرهان ، وينافح بالنميمة وقول الزور، ويُدل بالمخيلة والدعوى والعجب والغرور، (٢٢: ٨ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ٤٥: ٤٠ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين)

أحمدك اللهم عوداً على بدء أن وفقتني لتأييد المصلحين ، والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين ، فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاماً يدعو الى ذلك بدليلي النقل والعقل ، والأساليب المتنوعة من القول الفصل، وأضرع اليك أن توفقني على رأس العام الرابع عشر في السعي اليه بالفعل، وان تظهر هذا الدين في الآخرين، كما أظهرته في الأولين، فقد بدا غريباً وعاد كما بدا في غربته ، فأتم اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته ، وانصر دعاته الصادقين ، على عداته المنافقين ، الذين يلبسون لباسه ويجهلون حقيقته ، فيجنون عليه ما لا يجني المنكرون له ، حتى صدق عليهم ما قلته في المتفرقين قبلهم (٥٩ : ٢ يخربون بيوتهم بأيديهم ١٤

بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ١٥ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم)

اللهم انك تعلم أن من هؤلاء المفرقين من أعماه الحسد وحب الظهور، ومنهم من أصمه الكبر والغرور، ومنهم من أفسده الفسق والفجور، ومنهم من أبعده الكفر بك، والصدود عن هداية رسلك، فهم امشاج مختلفون في عقائدهم واخلاقهم الباطنة، مختلفون في عاداتهم وأعمالهم الظاهرة، لا يجمع بين قادتهم الا حب المال والجاه في الحياة، والطمع في نصب التماثيل والصور لهم بعد الممات، وتلك عاقبة الذبذبة، فيما ابتليت به هذه الأمة من اختلاف التعليم والتربية، نال الأجانب من نفوسهم ما يشتهون وهم لا يشعرون، فهم لهم خادمون ويحسبون أنهم هم المقاومون، أولئك هم المفرقون، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، يفرقون بين أعضاء الأمة، ويحللون العناصر التي يتركب منها جسم الدولة، أولئك هم الأخسرون أعمالا، والرابحون أقوالا وأموالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً، (٢ : ١٥ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

اللهم قد ضاق ذرع المصلحين، بهؤلاء المفسدين المفرقين، كلما داووا جرحاً سالت جروح، وكلما رتقوا فتقاً ظهرت لهم فتوق، وكثرت الدعوى بالباطل، واختلط الحابل بالنابل، وظهر في جو السياسة العارض الممطر، واضطربت القلوب من موعد الصبح المسفر، يومئذ تظهر عاقبة الذين يعملون في السر، ضد ما يقولون ويدعون في الجهر، ويتبرأ أهل الجنوب من شياطينهم أهل الشمال اذا ظهر ما يضمرون لما بقي للاسلام من سلطان

وشبه سلطان، باغراء أولئك الذين قضوا على سلطة غيره من الأديان، ويومئذ يعلم المغرورون من نوكى المسلمين، أنهم كانوا فاتنين مفتونين، (٣٧: ١٠٠ إنَّ هذا لهوَ البَلاءُ المبينُ * ٣٨: ٨٨ ولَتعلمُنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ)

تطلعت رءوس الفتن، واشتعلت نارها في ألبانية فحوران فاليمن، يخرب المسلمون بيوتهم بأيديهم، ويقتلون أنفسهم بسيوفهم، ويمهدون السبل للطامعين فيهم، فيكفونهم أمر الحرب، وبذل المال وسفك الدم، أهلك أهل الحضارة والترف منهم حب الشهوات، وأهلك أهل الخشونة والقشف الجهل بالفنون والصناعات، وقد أفسد الرؤساء من الفريقين حب الرياسة، وما يتبعها من فتن السياسة، « أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة، ومن معنى السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة، ومن ساس ويسوس، وسائس ومسوس، » (*) فالسياسة مثار الفتن، ومصدر الإفك والكذب، ومورد السعاية والمحل، وناهيك بسياسة أهل الضعف، في مثل هذا العصر، الذين فقدوا كل شيء، ويدعي الواحد منهم كل شيء، ويجرد من لا يتبع أهواءهم من كل شيء، يلبسون الحق بالباطل، وينصرون من يتبع أهواءهم من مظلوم أو ظالم، يؤيدون المفسدين والمجرمين، ويتجرمون على البرآء الصالحين، (٣٤: ٢٥ قل لا تُسئلون عمَّا أجرَمنا ولا نُسئلُ عمَّا تعملون ٢٦ قل يجمعُ بيننا ربنا ثمَّ يفتحُ بيننا بالحقِّ وهوَ الفتَّاحُ العليم)

(*) هذه الاستعاذة للاستاذ الامام رحمه الله تعالى

يا أيها المفتون المغرور ، المختال في ثوبين من الزور ، اعلم انه ليس في طاقة أحد . ان يتقن كل عمل ، فيكون رئيساً أو زعيماً في السياسة ، والعلم والدين والأدب والكتابة والخطابة ، والأمور الاجتماعية والمالية . وكل ما تحتاج اليه الأمة لتكون من الامم الحية . فعليك ان كنت من الصادقين أن تتقن عملا ما ثم تكون عوناً وظهيرا للعاملين ، ويا أيها المفتون بالقوة ادخر قوتك للقاء خصمك الاقوياء ، ولا تضعفها بالبغي على إخوانك الضعفاء ، فرب جهاد في غير عدو ، ورب ضعة في حب العلو ، ورب باغ على نفسه ، وهو يحسب انه ينتقم من خصمه ، والبغي مصرعه وخيم ، (٤٢ : ٤١ ولَمَن انتصرَ بعدَ ظلمه فأُولئكَ ما عليهم من سبيل ٤٢ إنما السبيلُ على الذين يَظلمونَ الناس ويبغون في الارض بغير الحقّ ، اولئكَ لهمْ عذابٌ أليمٌ)

يا أهل القرآن أقيموا القرآن . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، قد غُلبتم على ما فرضتم فيه من حقكم ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاسقون من قومكم ، وكانوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب في أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا في دينكم ، يريدون إطفاء نوره . والاحاطة بوليه ونصيره ، فافيقوا من نومكم ، واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وانشروا دعوة الاسلام ، واجعلوا أمامكم القرآن ، فهو حبل الله الممدود بين أهل الايمان (٥ : ٢ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، ٨ : ٤٧ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازَعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا انَّ الله معَ الصابرين)

هذا ما ذكر به المنار ، قراءه المصطفين الاخيار ، على رأس عامه الرابع عشر ، كما هي سنته في فاتحة كل سنة ، وانها لتذكرة للخاصة ،

بحسب حالة الاصلاح العامة . ويدعوهم كما يدعو جميع العلماء الذين يطلعون عليه ، الى الكتابة اليه بما يرونه منتقداً فيه ، مؤيداً بالدليل والبرهان ، لا بقول فلان ورأي فلان . فانما المنار صحيفة جميع المسلمين ، لا صحيفة طائفة واحدة من المقلدين ، فهو يدعوهم الى الاجماع على ما اتفقوا عليه، وأن لا يتعادوا فيما اختلفوا فيه ، بل يردوه الى الله والرسول ، فهو خير عمل وأحسن تأويل . (١٦ : ٩ وعلى الله قصدُ السبيل ومنها جائرٌ ولو شاء لهداكم أجمعين)

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ الاشتراك في المنار ﴾

(١) جرى العرف في أقطارنا كلها بأن المشترك في صحيفة مؤقتة كالجرائد والمجلات يكون اشتراكه مسانهة كلما جاءت سنة كان مشتركا فيها مالم يؤذن صاحب الصحيفة قبل دخول السنة الجديدة أو في أولها بقطع الاشتراك وعملا بهذا العرف نرسل المنار الى المشتركين في العام الماضي فمن قبل هذا الجزء الأول كان مشتركا الى آخر هذه السنة ووجب عليه أن يؤدي قيمة الاشتراك كاملة وان بدا له في أثناء السنة قطع الاشتراك اوجعله نصف سنة فمن لم يرض بهذا الشرط فليرد الينا هذا الجزء

(٢) من أحب ابتداء الاشتراك في المنار هذا العام فعليه أن يرسل القيمة سلفا مع الطلب وهي مبينة على غلاف كل جزء

(٣) اذا لم يصل بعض الاجزاء الى المشترك فالادارة ترسله اليه اذا طلبه بعد موعد وصوله اليه بشهر واحد فان طلبه بعد ذلك أو طلب بدلا عما أضاعه من الأجزاء فعليه أن يرسل ثمن ما يطلبه وثمن الجزء بمصر ستة قروش وفي الخارج فرنك ونصف

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس في الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

ثم أقول بعد هذا انه قد بقي في الآية مباحث لا يتجلى معناها تمام التجلي وتتم الفائدة منه الا بها فنأتي بما يفتح الله تعالى به منها وان كان فيه شيء من تكرار بعض ما تقدم

(المبحث الاول في أولي الامر في الصدر الاول) أولو الامر في كل قوم وكل بلد وكل قبيلة معروفون فانهم هم الذين يثق بهم الناس في أمور دينهم ومصالح دنياهم لاعتقادهم أنهم أوسع معرفة وأخلص في النصيحة وقد كانوا في عصر النبي (ص) يكونون معه حيث كان وكذلك كانوا في المدينة قبل الفتوحات ثم تفرقوا وكانوا يحتاجون اليهم في مبايعة الإمام (الخليفة) وفي الشورى في السياسة والادارة والقضاء :

فأما المبايعة فكانوا يرسلون الى أمراء الأجناد ورؤس الناس في البلاد من يأخذ بيعتهم ولما لم يبايع معاوية أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه وكان له عصبة قوية قال من قال من الناس انه كان مجتهدا في حربه وقد كان في أتباعه من هو حسن النية كما كان فيهم محب الفتنة ومن قال فيهم أمير المؤمنين « أتباع كل ناعق » ولو كانت البيعة في عنقه لما كان ثم مجال لاشتباه من كان مخلصا في أمره .

وأما القضاء فكانوا يجمعون له من حضر من أهل العلم والرأي ورؤساء الناس فيأخذون برأيهم فيما لا نص فيه

روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها ، فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال أتاني كذا وكذا فنظرت في

كتاب الله وفي سنة رسول الله (ص) فلم أجد في ذلك شيئا فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك « الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا » وان أعياه ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياه ان يجد شيئا في الكتاب أو السنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء فان وجده قضى به فان لم يجد دعا رءوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به » فليتأمل الفقيه تفرقة أبي بكر بين من يسأل عن الرواية لقضاء النبي (ص) وبين من يستشار في وضع حكم جديد أو استنباطه ، فأما الرواية فكان يسأل عنها عامة الناس وأما الاستشارة فكان يجمع لها الرءوس والعلماء وهم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بالرد اليهم . ولم يذكر الراوي ما كان يعمل الخليفتان اذا اختلف أولئك المستشارون في القضية

وروى ابن عساكر عن شريح القاضي قال قال لي عمر بن الخطاب ان اقض بما استبان لك من كتاب الله فان لم تعلم كل كتاب الله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله (ص) فان لم تعلم كل أقضية رسول الله (ص) فاقض بما استبان لك من أمر الأئمة المهتدين فان لم تعلم كل ما قضت به الائمة فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح . اه والرواية ضعيفة وفيها من الغرابة لفظ الائمة ولم يكن وقتئذ أئمة متعددون يعتمد على قضائهم لبنائه على الكتاب والسنة

وروى الطبراني في الاوسط وابو سعيد في القضاء عن عليّ قال قلت يارسول الله إن عرض لي أمر لم ينزل فيه قضاء في أمره ولا سنة كيف تأمرني قال «تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برأيك خاصة » وتأمل قوله (ص) « تجعلونه » والعدل به عن « تجعله » – والخطاب للمفرد – فان فيه ان هذا الجعل من حق جماعة المؤمنين والمراد بالفقه معرفة مقاصد الشريعة وحكم الاعلم أحكام الفروع المعروف فان هذه تسمية محدثة كما بينه الغزالي في الاحياء والحكيم الترمذي والشاطبي وغيرهم . وكان رءوس المسلمين في ذلك العصر من أهل هذا الفقه غالبا

وأما استشارتهم في الامور الادارية فمثالها ما ورد في الصحيحين وغيرهما ان عمر خرج الى الشام حتى اذا كان (بسرغ) لقيه أهل الاجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه ان الوباء وقع بالشام . قال ابن عباس فقال عمر ادع لي المهاجرين الاولين فدعوتهم له فاستشارهم وأخبرهم ان الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى ان ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله (ص) ولا نرى ان تقدمهم على هذا الوباء . فقال ارتفعوا عني . ثم قال ادع لي الانصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني . ثم قال ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا نرى ان ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس « اني مصبح على ظهر » (أي مسافر والظهر ظهر الراحلة) فأصبحوا عليه . فقال ابو عبيدة أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة — وكان عمر يكره خلافه — نعم نفرّ من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والاخرى جدبة أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ (قال) فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اذا سمعتم به (أي الوباء) بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» قال فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف . اه

أقول وفي هذه الواقعة من العبرة ان عمر (رض) حكم مشيخة قريش في الخلاف بين جمهور المهاجرين والانصار فلما اتفقوا على ترجيح أحد الرأيين أنفذه، وهذا نحو ما اخترناه في تفسير الآية . وفيه أيضا انه لا يشترط في الرجوع الى رأي أولي الامر ان يكونوا محيطين بما ورد في السنة من قضاء وعمل أو حديث ، وصرح بهذا الاصوليون في صفات المجتهد

كان الخلفاء الراشدون وقضاتهم العادلون يعرفون رءوس الناس وأهل العلم والرأي والدين . ويعرفون أنهم هم أولو الامر فيدعونهم عند الحاجة وكانت

الامة في مجموعها رقيبة على أميرها يراجعه حتى أضعف رجالها ونسائها فيما يخطئ فيه كما راجعت المرأة عمر في الصداق فاعترف بخطئه وأصابتها على المنبر (* فكيف بأولي الامر الذين يتبعهم خلق كثير ، ولم يكن لاحد من الخلفاء الراشدين عصبية تمنعه من المسلمين ان أراد أن يستبد فيهم الا ما كان لعثمان من عصبية بني أمية ولم يرد هو أن يستبد بقوتهم وعصبيتهم ولما أخذته الامة بظلمهم لم يغنوا عنه شيئا فالخلفاء الراشدون كانوا مخلصين في مشاركة أولي الأمر من الامة في الحكم والتقيد برأيهم فيما لا نص فيه لقوة دينهم وعدالتهم ولأن هذا هو الذي كان متعينا ولم يكن في استطاعة أحد منهم ـ والاسلام في عنفوان قوته ـ أن يتخذله عصبية يستبد بها دون أولي الامر ان شاء (على انه لقوة دينه لا يشاء) وهذه الحال من الاسباب التي حالت دون الشعور بالحاجة الى وضع أولي الأمر لنظام يكفل دوام العمل بالشورى الشرعية وتقييد الأمراء والحكام برأي أولي الأمر

(المسألة الثانية في حال أولي الأمر بعد الراشدين) بنو أمية هم الذين زحزحوا بناء السلطة الاسلامية عن أساس الشورى إذ كونوا لأنفسهم عصبية بالشام هدموا بها سلطة أولي الأمر من سائر المسلمين بالحيلة والقوة وحصروها في أنفسهم فكان الامير مقيدا بسلطة قومه لا بسلطة أولي الأمر من جميع المسلمين فخرجوا عن هداية الآية شيئا فشيئا ثم جاء العباسيون بعصبية الأعاجم من الفرس فالترك . ثم كان من أمر التغلب بين ملوك الطوائف بعصبياتهم ما كان فلم تكن الحكومة الاسلامية مبنية على أساسها من طاعة الله ورسوله وأولي الأمر بل جعلت أولي الامر كالعدم في أمر السلطة العامة ، وكان تحري طاعة الله ورسوله بالعدل ورد الامانات الى أهلها يختلف باختلاف درجات الأمراء والحكام في العلم والدين فكانت أحكام عمر بن عبد العزيز كأحكام الخلفاء الراشدين في العدل ولكنه لم يستطع أن يرد أمانة الامامة الكبرى الى أهلها لان عصبية قومه كانت محتكرة لها حا في السلطة والرياسة. ثم كانت سلطة الملوك العثمانيين بعصبيتهم القومية ، وقوة جيوشهم المعروفة بالانكشارية ، ولم يكن هؤلاء من أولي الامر ، أصحاب الفقه والرأي ،

*) راجع ص ٤٦٧ ج التفسير الرابع وص ١٨ م المنار الثالث عشر)

الذين هم في المسلمين أهل الحل والعقد، بل كانوا اخلاطا من المسلمين والكافرين يأخذهم السلاطين ويربونهم تربية حربية

(المسألة الثالثة أولو الامر في زماننا وكيف يجتمعون) ذكرنا في تفسير الآية ان أولي الامر في زماننا هذا هم كبار العلماء ورؤساء الجند والقضاة وكبار التجار والزراع وأصحاب المصالح العامة ومديرو الجمعيات والشركات وزعماء الاحزاب ونابغو الكتاب والأطباء والمحامين (وكلاء الدعاوي) الذين تثق بهم الامة في مصالحها وترجع اليهم في مشكلاتها حيث كانوا. وأهل كل بلد يعرفون من يوثق به عندهم ويحترم رأيه فيهم ويسهل على رئيس الحكومة في كل بلد ان يعرفهم وان يجمعهم للشورى ان شاء، ولكن الحكام في هذا الزمان مؤيدون بقوة الجند الذي تربيه الحكومة على الطاعة العمياء حتى لو أمرته أن يهدم المساجد ويقتل أولي الامر الموثوق بهم عند أمته لفعل فلا يشعر الحاكم بالحاجة الى أولي الامر ولا يريد أن يقرب اليه منهم الا المتملق المدهن. فاشتدت الحاجة لأجل هذا الى اعادة السلطة الى أولي الامر بقوة الامة ورأيها وتكافلها. وقد جرت الدول التي بنت سلطتها على أساس الشورى أن تعهد الى الامة بانتخاب من تثق بهم لوضع القوانين العامة للمملكة والمراقبة على الحكومة العليا في تنفيذها ومن تثق بهم المحاكم القضائية والمجالس الادارية ولا يكون هذا الانتخاب شرعيا عندنا الا اذا كان للامة الاختيار التام في الانتخاب بدون ضغط من الحكومة ولا من غير الحكومة ولا ترغيب ولا ترهيب ومن تمام ذلك أن تعرف الامة حقها في هذا الانتخاب والغرض منه، فاذا وقع انتخاب غيرهم بنفوذ الحكومة أو غيرها كان باطلا شرعا ولم يكن للمنتخبين سلطة أولي الامر ويتبع ذلك أن طاعتهم لا تكون واجبة شرعا بحكم الآية وانما تدخل في باب سلطة التغلب فمثل من ينتخب رجلا ليكون نائبا عن الامة فيما يسمونه السلطة التشريعية وهو مكره على هذا الانتخاب كمثل من يتزوج أو يشتري بالإكراه لا تحل له امرأته ولا سلعته. وقد ذكر الاستاذ الامام اشتراط حرية الانتخاب كما تقدم ولكن الاجمال لا يغني في هذا المقام عن التفصيل

خاطب الله الامة كلها باقامة القواعد الأربع المنصوصة في الآية بدليل قوله المخاطبين

« وأولي الأمر منكم » فاذا لم يقم أهل الحل والعقد من أنفسهم بالاجتماع لاقامتها فالواجب على مجموع الامة مطالبتهم بذلك ولا يترك الأمر فوضى ثم يبحث عن إجماع أهل الحل والعقد أو الاجتهاد وعن استنباط أهل الاستنباط في رواية الرواة : قال فلان كذا وسكت فلان عن كذا ، وهذه المسألة لا نعرف فيها خلافا فهي إجماعية ، كما وقع منذ زمن الرواية والتدوين والتصنيف الى اليوم ، فالله تعالى قد ذكر أولي الأمر هنا بصيغة الجمع كذلك ذكرهم بصيغة الجمع في الآية الآتية التي ينوط فيها الاستنباط بهم بقوله (٨٣ لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فعلم من ذلك انه يجب أن يكون لأولي الأمر مجمع معروف عند الأمة لترداليهم فيه المسائل المتنازع فيها والمسائل العامة من أمر الأمن والخوف ليحكموا فيها ، والظاهر ان طاعتهم تجب على الحكومة وافراد الأمة اذا هم اجتمعوا وانه يجب على الحاكم والمحكوم رد المسائل العامة والمتنازع فيها اليهم سواء اجتمعوا بأنفسهم أو بطلب الأمة أو بطلب الحكومة بشرط أن يكونوا هم هم ،

فإن قيل أرأيت اذا انتخبت الأمة غير من ذكرتم وفاقا للرازي والنيسابوري أنهم أولو الأمر ليكونوا هم المستنبطين لما تحتاج اليه من الاحكام والقوانين والمشرفين على الحكام والمستشارين لهم أيكون أولو الأمر من وصفتم وان لم تنتخبهم الأمة أم يكونون هم المنتخبين من قبل الامة وان فقدوا تلك الصفات ؟ أقول في الجواب ان الامة اذا كانت عالمة بمعنى الاية ومختارة في الانتخاب عالمة بالغرض منه لا يمكن أن تنتخب غير من ذكرنا انهم هم أهل المكانة الموثوق بعلمهم ورأيهم وإخلاصهم عندها لأن هذا هو الذي تقوم به مصلحتها الدينية والدنيوية ويتحقق به العمل بما هداها الله اليه في كتابه ، فانتخابها إياهم أثر طبيعي لثقتها بهم ولعلمها بهدي دينها ، وان كانت جاهلة بما ذكر أو غير مختارة في الانتخاب فلا يكون لانتخابها صفة شرعية . وانما الخطاب في الآية لأمة الاجابة في الاسلام وهي المذعنة لأمر الاسلام ونهيه العالمة بما لا بد من علمه فيه . ولعل جهل الذين كانوا يدخلون في الاسلام أفواجا في الصدر الاول بهذا الحكم ، وعدم معرفتهم لأولي الامر ، كان احد الاسباب ، في عدم العمل بقاعدة الانتخاب

فإن قيل أيجب انتخاب جميع أهل الحل والعقد لأجل الاجتماع لاستنباط

الأحكام العامة التي تحتاج اليها الأمة في سياستها وادارتها العامة أم يكتفى ببعضهم؟ أقول الظاهر أنه يكتفي بأن يقوم بذلك من تحصل بهم الكفاية برضى الباقين ، فاذا فرضنا ان المملكة مؤلفة من متمدينة أو ناحية في كل واحدة منها عشرة من أولي الامر الذين يثق أهلها بعلمهم ورأيهم وينقادون لهم يكون مجموع أولي الامر ألف نسمة فاذا هم اختاروا من أنفسهم بالانتخاب أو القرعة مئة أومئتين للقيام بما ذكر حصل المقصد بذلك وكان ما يقررونه إجماعا من الامة . ويرجع الناس الى الباقين في الامور الخاصة بمكانهم كالشورى في القضاء والادارة . وهذا مايظهر لي انه اقرب ما يتحقق به العمل بالآية

(المسألة الرابعة أولو الامر هم أهل الاجماع) بينا ان أصول الشريعة الاساسية هي الاربعة المبينة في هذه الآية، وطبق ذلك بعض المفسرين الاصوليين على الاصول الاربعة التي عليها مدار علم أصول الفقه وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس – وجعلوا الآية حجة على مشروعية الاجماع وهي لعمري أقوى دلالة عليه من آية(٤ : ١١٤) ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى) الآية، بل لاتدل هذه على الاجماع الاصولي كما سيأتي في تفسيرها من هذه السورة ، وجعلوا معنى رد المتنازع فيه الى الله ورسوله هو القياس الاصولي . واشترطوا ان يكون أهل الاجماع هم المجتهدين وكذلك أهل القياس وعلى هذا يشترط في أعضاء مجلس النواب الذين يسمون في عرف العثمانيين بالمبعوثين وفي أعضاء المحاكم والمجالس ان يكونوا من المجتهدين ولا يكون لهم صفة تشريعية بغير ذلك ، وهذا هو الذي يفهم من علم الأصول وقد علمت رأينا فيه وسنزيدك إيضاحا

قال الرازي في تفسيره الكبير : في المسألة الثانية من مسائل الآية اعلم ان هذه الآية آية شريفة مشتملة على أكثر علم أصول الفقه وذلك لان الفقهاء زعموا ان أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس وهذه الآية مشتملة على تقرير الاصول الاربعة أما الكتاب والسنة فقد وقعت الاشارة اليهما بقوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » فان قيل أليس ان طاعة الرسول هي طاعة الله فما معنى هذ العطف قلنا قال القاضي الفائدة في ذلك بيان الدلالتين فالكتاب

يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لامحالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله لامحالة

ثم قال في المسألة الثالثة : اعلم ان قوله « وأولي الامر منكم » يدل عندنا على ان اجماع الامة حجة .اه وقد تقدم تفصيل كلامه في اثبات ذلك ورد قول من قال ان المراد بأولي الأمر الأئمة المعصومون ومن قال إنهم الأمراء والسلاطين . وجزمه بأن المراد من يمثل الامة وهم أهل الحل والعقد .

ثم قال في المسألة الرابعة : اعلم ان قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » يدل على ان القياس حجة ، الذي يدل على ذلك ان قوله « فان تنازعتم في شيء » اما أن يكون المراد فان اختلفتم في شيء حكمه منصوص عليه في الكتاب أو السنة أو الإجماع ، أو المراد فان اختلفتم في شيء حكمه غير منصوص عليه في شيء من هذه الثلاثة ، والاول باطل لان على ذلك التقدير وجب عليه طاعته فكان ذلك داخلا تحت قوله « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وحينئذ يصير قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » إعادة لعين ما مضى وإنه غير جائز ، واذا بطل هذا القسم تعين الثاني وهو ان المراد فان تنازعتم في شيء حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والاجماع ، واذا كان كذلك لم يكن المراد من قوله « فردوه الى الله والرسول » طلب حكمه من نصوص الكتاب والسنة ، فوجب ان يكون المراد رد حكمه الى الاحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة له وذلك هو القياس فثبت ان الآية دالة على الامر بالقياس

ثم أورد الرازي على الاخير انه يجوز ان يكون المراد برد المتنازع فيه الى الله ورسوله تفويض أمره اليهما وعدم الحكم فيه بشيء أو الى البراءة الاصلية وأجاب عنهما بإسهابه المعتاد وإني اذكر عبارة النيسابوري في الاجماع والقياس ورده هذين الايرادين وان تقدم بعضها لانه اختصر فيها ما أطال به الرازي قال بعد رد ما قيل في مسألة أولي الأمر غير ما ادعاه « واذا ثبت ان حمل الاية على هذه الوجوه غير مناسب تعين أن يكون المعصوم كل الامة أي أهل الحل والعقد وأصحاب الاعتبار والآراء فالمراد ما اجتمعت عليه الامة وهو المدعى

(قال) وأما القياس فذلك قوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » اذ ليس المراد من رده الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع والا كان تكرارا لما تقدم ، ولا تفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت عنه لأن الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال ، وتفتقر الى قطع مادة الشغب والخصومة فيها بنفي أو إثبات ، ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول ، فاذا ردها الى الاحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة لها فهذا هو معنى القياس

« فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعته ثم لما سوى أهل الحل والعقد بطاعتهم ، ثم أمر أهل استنباط الاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه في الناس في حكم واقعة ما أن يستخرجوا لها وجوها من نظائرها وأشباهها فما أحسن هذا الترتيب » اهـ كلام النيسابوري والاظهر المختار أن رد ما لا نص فيه الى الله والرسول يتحقق بعرضه على ما فيهما من القواعد العامة كاليسر ورفع الحرج من الامة وكان النبي (ص) لا يخير بين أمرين الا اختار أيسرهما ، وكمنع الضرر والضرار وكون المحظور لذاته يباح للضرورة والمحظور لسد الذريعة يباح للحاجة وقد تقدمت الاشارة الى هذا . ويلي هذا عرض الجزئيات في المعاملات على اشباهها . وتقدم أيضا ان المراد بالرد هنا رد ما يتنازع فيه أولو الامر وأما ما يتنازع فيه غيرهم فيرد اليهم عملا بآية الاستنباط (٤ : ٨٢)

﴿ المسألة الخامسة الاجماع والاجتهاد عند الاصوليين ﴾

قد علمت انهم جعلوا الآية حجة على ان الاجماع أصل من أصول هذه الشريعة ورأيت ان بعضهم يقول اجماع الامة وأجماع أهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة ثم انهم صرحوا مع ذلك بأن المراد بهذا هو الاجماع الأصولي فما هو تعريفه ؟

الاجماع في اصطلاح جمهور الأصوليين « هو اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد

وفاة نبينا في عصر على أمر أي أمر كان » فلا عبرة فيه باتفاق بعض المجتهدين ولو الاكثر ولا باتفاق المقلدين ولا باتفاق غير المسلمين كالذين يكفرون ببدعتهم والذين يجعلون الإسلام جنسية لهم لا دينا فاذا فرضنا ان عصرا خلا من المجتهدين (كما يقول جماهير المشتغلين بالعلم من المنتمين الى السنة في هذا العصر) واتفق جميع المسلمين فيه على حكم في واقعة عرضت ليس فيها نص شرعي فان اتفاقهم كلهم لا يعد إجماعا وربما يقول متفقهتنا انهم يكونون بذلك كلهم عصاة لله تعالى باجتهادهم هذا ، ولا يبعد أن يقول المتنطع من هؤلاء المتفقهة انهم اذا استحلوا وضع الحكم والعمل به وعده شرعيا يكونون مرتدين عن الاسلام ، ونعوذ بالله من مثل هذا التنطع الذي يجيز على صاحبه خطأ الملايين ويقول بعصمة الاثنين فاكثر من المجتهدين

واعتبر بعضهم وفاق العوام للمجتهدين ليصح ان الأمة اجمعت اذ عبر بعضهم كالغزالي في التعريف باتفاق الأمة . وعبر في جمع الجوامع « بمجتهد الأمة » لصدقه على الاثنين فاكثر والمفرد المضاف يعم . وأراد انه لو لم يوجد الا اثنين من المجتهدين واجمعا وجب العمل باجماعهما بشرطه ولو كانا امرأتين أو عبدين وفيه خلاف . وهناك خلافات أخرى في قيود الحد ومفهومها وفي مسائل أخرى تتعلق بالاجماع

وقال في كشاف اصطلاحات الفنون الاجتهاد في اصطلاح الاصوليين استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي والمستفرغ وسعه في ذلك التحصيل يسمى مجتهدا . ثم قال : فائدة المجتهد شرطان (الاول) معرفة الباري تعالى وصفاته وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزاته وسائر مايتوقف عليه علم الايمان كل ذلك بأدلة إجمالية انلم يقدر على التحقيق والتفصيل على ماهو دأب المتبحرين في علم الكلام (والثاني) ان يكون عالما بمدارك الاحكام وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالتها وتفاصيل شرائطها ومراتبها وجهات ترجيحها عند تعارضها والتفصي عن الاعتراضات الواردة عليها فيحتاج الى معرفة حال الرواة وطرق الجرح والتعديل وأقسام النصوص المتعلقة بالاحكام وأنواع العلوم الأدبية من اللغة والصرف والنحو وغير ذلك ، هذا في حق المجتهد المطلق الذي يجتهد في الشرع . وأما المجتهد في

مسألة فيكفيه علم مايتعلق بها ولا يضره الجهل بما لايتعلق بها . هذا كله خلاصة
مافي العضدي وحواشيه وغيرها اه

وانني اذكر لك خلاصة ما في كتاب جمع الجوامع في ذلك وهو ان المجتهد
عندهم هو الفقيه ويشترط في تحقق الاجتهاد أن يكون بالغا عاقلا ذا ملكة يدرك
بها المعلوم فقيه النفس عارفا بالدليل العقلي — أي البراءة الأصلية — ذا درجة
وسطى في اللغة العربية وفنونها (من النحو والصرف والبلاغة) والأصول والكتاب
والسنة . وصرح بأنه يكفي في زماننا الرجوع الى أئمة الحديث أي الى مصنفاتهم في
الجرح والتعديل وما يصح وما لا يصح وبأنه لايشترط علم الكلام ولا الذكورة
ولا الحرية ، فيجوز أن يتألف المجتهدون أهل الاجماع من النساء والعبيد .

أقول ليس تحصيل هذا الاجتهاد الذى ذكروه بالأمر العسير ولا بالذي يحتاج
فيه الى اشتغال أشق من اشتغال الذين يحصلون درجات العلوم العالية عند علماء
هذا العصر في الامم الحية كالحقوق والطب والفلسفة ومع ذلك نرى جماهير علماء
التقليد منعوه فلا تتوجه نفوس الطلاب الى تحصيله

وظاهر ان تعريف جمهور الاصوليين للاجماع وتخصيصه بالمجتهدين المعرفين
بما ذكر لا يتفق مع قول القائلين اهل انهم الحل والعقد ولا على المصلحة العامة فان
العالمين بما ذكروه من شروط المجتهد لا يعرفون مصالح الأمة والدولة في الامور
العامة كسائل الامن والخوف والسلم والحرب والاموال والادارة والسياسة بل
لا يوثق بعلمهم الذي اشترطوه في احكام القضاء في هذا العصر الذي تجدد
للناس فيه من طرق المعاملات ما لم يكن له نظير في العصور الاولى فيقيسوه به

ثم ان ماذكروه في تعريف الاجتهاد والمجتهد لايقتضي ان يكون المجتهدون
معصومين في اتفاقهم على الامر الذي يسمى اجماعا ولا سيما على قول الجمهور الذين
يجيزون اجماع العدد القليل كالاثنين والثلاثة ،وغلا بعض أهل الاصول فقالوا ان
عصمتهم كعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل بعضهم من ذلك اتفاقهم على
العمل وان لم يصدر منهم قول فيه فقالوا فعلهم كفعل الرسول (ص) واختاره الجويني
خلافا للباقلاني . وصرحوا بأن وقوع الخطأ منهم محال أخذوا هذا من كون الامة

لاتجمع على ضلالة وهذا معنى آخر على انهم يجيزون خطأ الامة كلها اذا خلت من المجتهدين كما تقدم فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا العقل والدين ، ونحمده أن كانت هذه الآراء مختلفا فيها بين الباحثين ، حتى منع بعضهم هذا الاجماع ألبتة واحاله و بعضهم لم يعتد الا باجماع الصحابة واعتد بعضهم باجماع العترة النبوية و بعضهم باجماع أهل المدينة في العصر الأول واشترط بعضهم عدد التواتر و بعضهم موافقة العوام

و بعد هذا وذاك نقول ان حصر المجتهدين بالمعنى الذي ذكروه لا يمكن والعلم باتفاقهم على تفرقهم لا يمكن ولهذا قال بعض العلماء إن هذا الاجماع الاصولي غير ممكن واذا أمكن فالعلم به غير ممكن وقال بعضهم يمكن العلم بالاجماع السكوتي دون القولي وهو مختلف في كونه إجماعا قال بعضهم انه حجة ظنية لا اجماع وقال بعضهم انه ليس باجماع ولا حجة والقول الثالث انه اجماع ظني ، وقد يقال السكوتي لاسبيل الى العلم به أيضا لأن عدم العلم بالقول من زيد لا يقتضي عدم صدور القول منه وكان يطلق بعض السلف الاجماع على المسألة التي رويت عن جمع من الصحابة ولم ينقل ان أحدا خالفهم فيها وهذا غير الاجماع الذي يعتد به جمهور الاصوليين

وروي عن الامام أحمد انه قال « من ادعى الاجماع فقد كذب لعل الناس قد اختلفوا هذه دعوى بشر المريسي والاصم (من المعتزلة) ولكن يقول لا أعلم الناس اختلفوا أو لم يبلغه » نقل هذا في المسودة ثم قال: وكذلك نقل المروزي عنه انه قال كيف يجوز للرجل أن يقول « أجمعوا » اذا سمعتهم يقولون أجمعوا فاتهمهم ، لو قال اني لا اعلم مخالفا كان (أحسن) قال في المسودة وكذلك نقل أبو طالب عنه انه قال هذا كذب ما علمه ان الناس مجتمعون ولكن يقول لا أعلم فيه اختلافا فهو أحسن من قوله إجماع الناس ، وكذلك نقل عنه أبو الحارث: لا ينبغي لأحد أن يدعي الاجماع لعل الناس اختلفوا . وحمل القاضي إنكار أحمد للاجماع على الورع وحمله تقي الدين بن تيمية على إجماع المخالفين بعد الصحابة أو بعدهم و بعد التابعين أو بعد القرون الثلاثة . وانما أولوا كلامه المقرون بالدليل الذي يرد تأويلهم لانه وقع في كلامه لفظ الاجماع كاستدلاله على ان التكبير من غداة يوم

عرفة الى آخر أيام التشريق بإجماع عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ذكره القاضي وهذا إجماع مقيد غير الاجماع المطلق الذي نفاه

كان بعض السلف يذكرون الاجماع في الصدر الاول بمعناه اللغوي ويظن بعض الناس انه الاجماع الذي اصطلح عليه أهل فن الاصول الذي حدث بعدهم ولهذا ظن القاضي ان كلام الامام احمد اختلف في الاعتداد بالاجماع تارة وانكاره تارة أخرى وليس كذلك

الاجماع في اللغة جمع الامر وإحكامه والعزم عليه يقال اجمعوا الامر والرأي واجمعوا عليه اذا أحكموه وضموا ماانتشر وتفرق منه وعزموا عليه عزما لاتردد فيه ولا يكون ذلك في غير الضروريات الا بعد الروية والتدقيق والمرادة في الشورى قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (١٠: ٧١ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا اليّ ولا تُنظرون) وذلك انه ليس بعد الاجماع الا الإمضاء والتنفيذ. وقال في أخوة يوسف (١٢: ١٥ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) ثم قال فيهم (١٢: ١٠٢ وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وقال حكاية لقول فرعون للسحرة (٢٠: ٦٤ فأجمعوا كيدكم) والاجماع للأمر يكون من الواحد ومن الجمع.

قال في لسان العرب: وفي الحديث «من لم يُجمع الصيام من الليل فلا صيام له» الاجماع إحكام النية والعزيمة، أجمعت الرأي وأزمعته وعزمت عليه بمعنى، ومنه حديث كعب بن مالك «اجمعت صدقه» وفي حديث صلاة المسافر «مالم أجمع مكثا» أي مالم أعزم على الاقامة، وأجمع أمره جعله جميعا بعدما كان متفرقا، قال وتفرقه انه جعل يديره فيقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على أمر محكم أجمعه أي جعله جمعا. قال وكذلك يقال أجمعت النهب، والنهب ابل القوم أغار عليها اللصوص وكانت متفرقة في مراعيها فجمعوها من كل ناحية حتى اجتمعت لهم ثم طردوها وساقوها فاذا اجتمعت قيل اجمعوها ... والاجماع ان تجمع الشيء المتفرق جميعا فاذا جعلته جميعا بقي جميعا ولم يكد يتفرق كالرأي المعزوم عليه الممضي، وأجمع المطر الارض اذا سال رغابها

وجهادها (١) كلها ، وفلاة مجمعة ومجمعة (بتشديد الميم) يجتمع فيها القوم ولا يتفرقون خوف الضلال ونحوه كأنها هي التي جمعتهم اهـ المراد منه

فعلم من هذا ان الاجماع في اللغة ليس هو اتفاق الناس أو طائفة منهم على أمر مطلقا وانما هو إحكام الامر المتفرق وعزمه لئلا يتفرق . ويكون من الواحد وأكثر من الواحد ولا يقتضي أن يقوم به كل أهل الشأن ، فرجوع عمر بمن كان معه عن الوباء كان بالاجماع اللغوي دون الأصولي ، ومنه قول عمر وابن مسعود وغيرهما من الصحابة « اقض بما في كتاب الله فان لم يكن فيما في سنة رسول الله (ص) فان لم يكن فيما أجمع عليه الصالحون » وفي لفظ ما قضى به الصالحون، ومنه قول الامام أحمد انه عمل في مسألة التكبير باجماع عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس ، أي ما جزموا به وعزموه بالعمل فأين هذا من إجماع الأصول الذي معناه أن يتفق جميع المجتهدين على أمر ما ، وكان المجتهدون في العصر الأول ألوفا كثيرة لا يمكن حصرهم فلذلك أنكر الامام أحمد دعوى العلم باجماعهم على المعنى الذي اصطلح الناس عليه في زمنه ، وكذلك أنكره غيره

وما زال أهل الاستقلال في الفهم يبحثون في ذلك وقد زرت الاستاذ الامام في العيد منذ اثنتي عشرة سنة فألفيت عنده أحمد فتحي باشا زغلول العالم القانوني واذا هو يسأله في الإجماع كيف يمكن أن يقع وان يعلم به مع عدم حصر أهله ولا تعارفهم ؟ ورأيت الأستاذ رحمه الله تعالى وافقه على استنكاره فقلت أن الذي أعتقده في الاجماع هو أن يجتمع العلماء التابعون الموثوق بهم و يتذاكروا في المسائل التي لا نص فيها ويكون ما يتفقون عليه هو المجمع عليه حتى ينعقد إجماع آخر منهم أو ممن بعدهم ، فقال الاستاذ الامام هذا حسن لو كان ولكن ليس هو الاجماع الذي يذكرونه

وجملة القول أن الأصل في الاجماع أن يكون إجماع الأمة كما صرح به بعضهم ولا سبيل الى اجتماع افراد الأمة فيحصل المراد بمن يمثلها وهم أولو الأمر

(١) الرغب بالفتح الارض اللينة ، والتي لا تسيل الا من مطر كثير ، والجهاد بالفتح أيضاً الارض المستوية أو الغليظة أو الجدبة

بالمعنى الذي بيناه مرارا ولا بد من اجتماعهم ، والمتأخرين منهم أن ينقضوا ما اجمع عليه من قبلهم بل وما أجمعوا هم عليه اذا رأوا المصلحة في غيره فان وجوب طاعتهم لأجل المصلحة لا لأجل العصمة كما قيل في الأصول والمصلحة تظهر وتخفى وتختلف باختلاف الأوقات والأحوال من القوة والضعف وغير ذلك . وهذا غير ما حظره السلف من مخالفة الاجماع الذي كانوا يعنون به ما جرى عليه الصحابة وكذا التابعون من هدى الدين بغير خلاف يصح عن أحد من علمائهم . وظاهر كلام الشافعي في رسالته ان هذا هو الاجماع الذي يعتد به وأرى أن أحمد كان على هذا ومن البديهي انه لا يعقل أن يتفق أهل العصر الأول على أمر ديني ولا يكون له أصل في الدين ، وأين هذا مما يعزى الى المجتهدين بعدهم من قول أو سكوت مما لم يكن معروفا في خير القرون ، ولا سيما اذا لم يوافقهم عليه سائر المسلمين

وقد احتجوا على دعوى عدم جواز مضادة الإجماع لاجماع قبله بحديث « لا تجتمع أمتي على ضلالة » والحديث رواه أحمد والطبراني في الكبير مرفوعا ، والحاكم في مسنده عن ابن عباس بلفظ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة . وجاء المرفوع بلفظ « سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة واعطانيها » والحديث لا يدل على ذلك لا في إجماع جمهور الأصوليين المتأخرين الذى لا يصدق عليه انه إجماع الامة ولا في غيره لان الاجماع يكون عن اجتهاد والمخطئ في اجتهاده لا يعد ضالا وانما يعد عاملا بما وجب عليه وان ظهر له خطأ اجتهاده الاول كمن يجتهد في القبلة ويصلي عدة صلوات ثم يظهر أن اجتهاده كان خطأ فان صلاته صحيحة . فهذا هو الحكم في العبادة التي لا تختلف أحكامها كما تختلف المصالح القضائية والسياسية التي يجرى فيها الاجتهاد العام والاجماع . وذكر في جمع الجوامع ان مضادة الاجماع لاجماع قبله فيه خلاف أبي عبدالله البصري الذى يرى ان الاجماع الأول ملغيا بوجود الثاني . وفي المسودة عن ابن عقيل الحنبلي قال : يجوز ترك ما ثبت وجوبه بالاجماع اذا تغيرت حاله مثل الاجماع على جواز الصلاة بالتيمم فاذا وجد الماء فيها (أي وهو في الصلاة) خرج منها بل وجب وبه قالت الحنفية وقال بعض الشافعية لاينتقل من الاجماع إلا باجماع مثله . وهذا الذي ذكره يقتضي

جواز مخالفته بدليل شرعي غير الاجماع ويبطل قول من زعم ان الاستصحاب تمسك بالاجماع كما في مدلول النص فالاقوال في المسألة ثلاثة اه

﴿ المسألة السادسة القياس الاصولي ﴾

عرفه ابن السبكي تبعا للباقلاني بأنه حمل معلوم على معلوم لمساواته في علة حكمه ، وابن الحاجب تبعا للآمدى بأنه مساواة فرع الاصل في علة حكمه . وفيه خلاف فمنعه ابن حزم في الاحكام الشرعية مطلقا وابن عبدان الا في حال الضرورة ومنع داود غير الجلي منه ، ومنعه ابو حنيفة في الحدود والكفارات والرخص والتقديرات ، وقوم في الاسباب والشروط والموانع ، وقوم في أصول العبادات صرح بذلك كله في جمع الجوامع وعلى الاخير الاستاذ الامام . وأركان القياس عندهم أربعة (١) الاصل المشبه به أي المقيس عليه و (٢) حكم الأصل قالوا ومن شرطه ان يثبت بغير القياس و (٣) الفرع المشبه بالاصل وهو المقيس ومن شرطه وجود تمام علة حكم الاصل فيه ، و (٤) العلة قالوا وهي المعرّف للحكم ، أقول وفيها معترك الانظار فمنها ماهو بديهي ككون الاسكار هو علة تحريم الخمر ومنها مالا يدل عليه عقل ولا نقل كالاقوال المشهورة في علة تحريم الربا : الكيل والوزن والطعم ، وقد اكتفى الحنفية في العلة بأى نوع من التشبه ، والحنابلة على انه لا بد من علة معينة تجمع بين الفرع والاصل حتى يجوز الرد والحمل وهو الاقرب ولا يظهر حمل الامر برد المتنازع فيه الى الله والرسول على عرضه على مثل تلك العلل والتشبيهات التي لا نص عليها في الكتاب ولا في السنة ولا هي متبادرة منهما على ان ذلك لا يزيل التنازع بل ربما يزيده ، واذا امتنع هذا وامتنع ان يكون المراد بهذا الرد طلب النصوص في نفس الشيء المتنازع فيه تعين أن يكون المراد ماقلناه من قبل وهو رده الى مقاصدهما وقواعدهما العامة وما يتبادر من علل الاحكام فيهما بحيث لا يكون للتنازع فيه مجال

هذا والظاهر من تعريف الاصوليين للاجتهاد والمجتهد انه لا يشترط فيه عندهم الاحاطة بما يمكن معرفته من الاحاديث بل صرح بعضهم بأن سنن أبي داود كافية لما ينبغي العلم به منها ، ويؤيد ذلك عمل الصحابة وقضاتهم فقد كان الخلفاء الراشدون

يسألون عن السنة وقضاء النبي من حضر ولا يستقصون في الطلب فان لم يجدوا عملوا بالرأي الذي مناطه المصلحة كما فعل عمر واصحابه في واقعة الوباء قبل ان يخبرهم عبد الرحمن بن عوف بما عنده فيها من الحديث المرفوع ، ولكن طلب النصوص من الكتب الآن اسهل من طلبه من الناس قبل تدوين الحديث

قال ابن تيمية : هل يجوز الحكم بالقياس قبل الطلب التام للنصوص ؟ هذه المسألة لها ثلاث صور (احداها)الحكم به قبل طلبه من النصوص المعروفة وهذا لايجوز بلاتردد (الثانية)الحكم به قبل الطلب من نصوص لايعرفها مع رجاء الوجود لو طلبها فهذه طريقة الحنفية تقتضي جوازه ومذهب الشافعي واحمد وفقهاء الحديث انه لايجوز ولهذا جعلوا القياس بمنزلة التيمم وهم لايجيزون التيمم الا اذا غلب على الظن عدم الماء فكذا النص وهو معنى قول الامام احمد ماتصنع بالقياس وفي الحديث مايغنيك عنه ، وهذه المسألة أم في الفرق بين أهل الحديث وبين أهل الرأي ، لكن يتفاوت أهل الحديث في طلب النصوص وطلب الحكم منها ، وهذه المسألة تشبه جواز الاجتهاد بحضور النبي (ص)وفيها لاصحابنا وجهان مع ان قول الحنفية هناك انه لايجوز لكن قديقولون وجود النبي (ص) ليس بمنزلة وجود النص (الثالثة)اذا أيس من الظفر بنص بحيث يغلب على الظن عدمه فهناك يجوز بلاتردد اه

﴿ المسألة السابعة بناء اجتهاد أولي الأمر على المصالح العامة ﴾

اذا علمت ان اجتهاد أولي الامر هو الأصل الثالث من أصول الشريعة الاسلامية وانهم اذا أجمعوا رأيهم وجب على افراد الامة وعلى حكامها العمل به فاعلم ان اجتهادهم خاص في المختار عندنا بالمعاملات القضائية والسياسية والمدنية دون العبادات والاحكام الشخصية اذا لم ترفع الى القضاء وانه ينبغي أن يبنى على قاعدة جلب المصالح وحفظها ودرء المفاسد وإزالتها ، ويظن بعض المشتغلين بالعلم ان جعل المصالح المرسلة أي المطلقة أصلا من أصول الفقه خاص بالمالكية لكن قال القرافي انها عند التحقيق ثابتة في جميع المذاهب . ومن الادلة عليها حديث

« لا ضرر ولا ضرار » رواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس والثاني عن عبادة وعلم السيوطي عليه في الجامع الصغير بالحسن ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولها دلائل أخرى أشرنا الى بعضها في محاورات المصلح والمقلد والاصل فيها رفع الحرج والعسر وتقديم كل ما فيه اليسر على الامة وهذا ثابت في القرآن وأشرنا اليه في سياق تفسير الآية التي نحن بصدد تفسيرها

ومما يتفرع عن ذلك التعارض بين المصلحة العامة و بين العمل ببعض النصوص وهو يرجع في الحقيقة الى التعارض بين النصوص لان مراعاة المصلحة مؤيدة بها وقلما ترى في الكتب المتداولة بحثا مشبعا في هذه المسألة المهمة التي تتوقف عليها حياة الشريعة والعمل بها وانك لترى المشتغلين بالفقه لا يبالون بتقديم نصوص علماء مذاهبهم على العمل بما تحفظ به المصلحة العامة فما بالك بنصوص الكتاب والسنة ولم نر أحدا توسع في هذه المسألة كما توسع فيها نجم الدين الطوفي من أئمة الحنابلة (توفي سنة ٧١٦) في شرح الحديث الذي ذكرناه آنفا وقد نشرنا كلامه في ذلك في المجلد العاشر من المنار وقاعدته ان المصلحة مقدمة على النص والاجماع ، وقد عرّفها بحسب العرف بأنها السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع بأنها السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عادة ، وأورد في الاستدلال عليها من القرآن سبعة أوجه من قوله تعالى (١٠ : ١٦ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ٥٧ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأقول ان في القرآن دلائل كثيرة أصرح من هاتين الآيتين في الدلالة عليها والكلام في تفصيل ذلك بدلائل الكتاب والسنة وعمل الصحابة يطول ويمكن أن يدخل في كتاب خاص ولعلنا نوفق لبيانه في مقدمة التفسير التي نودعها كليات فقه القرآن وحكمته العليا

على ان الطوفي لم يقتصر على وجوه تينك الآيتين بل ذكر دلائل أخرى من الكتاب والسنة ومسائل الاجماع وردّ ما يعترض به على هذه القاعدة و بين ما تتعارض به المصالح وطرق الترجيح فيها فليراجعه من شاء في المجلد العاشر من المنار (من ص ٧٤٥ — ٧٧٠)

﴿ المسألة الثامنة في الاخبار والآثار في الجماعة بمعنى الإجماع ﴾

بينا ان لفظ الاجماع لم يرد في الكتاب والسنة بالمعنى المعروف في اصطلاح الاصوليين ولكن ورد في الاخبار والآثار لفظ الجماعة بالمعنى المقصود من الاجماع الاصولي الصحيح المختار ويقابله الاختلاف والتفرق اللذين نهى الله عنهما ورسوله نهيا شديدا

ومن الاخبار في ذلك حديث « من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » رواه احمد وابو داود والحاكم عن أبي ذر ، وابن ابي شيبة عن حذيفة ورواه الحاكم عن ابن عمر بلفظ « من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه حتى يراجعه ومن مات وليس عليه امام جماعة فان موتته موتة جاهلية » وبقريب من هذا اللفظ الطبراني عن ابن عباس . والنسائي عن حذيفة بلفظ « من فارق الجماعة شبرا فارق الاسلام » ورواه غيرهم أيضا بألفاظ متقاربة

ومنها حديث « يد الله على الجماعة » رواه الترمذي عن ابن عباس والطبراني عن عرفجة بزيادة « والشيطان مع من خالف الجماعة يركض » وحديث « لن تجتمع امتي على ضلالة أبدا وان يد الله على الجماعة » رواه بهذا اللفظ الطبراني عن ابن عمر وتقدم في المسألة الخامسة ذكر الشطر الاول منه

قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند ذكر قول البخاري « باب وكذلك جعلناكم وسطا وما أمر النبي (ص) بلزوم الجماعة وهم أهل العلم » وورد الامر بلزوم الجماعة في عدة أحاديث منها ما أخرجه الترمذي مصححا من حديث الحارث بن الحارث الاشعري. فذكر حديثا طويلا فيه « وأنا آمركم بخمس امرني الله بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وفي خطبة عمر المشهورة التي خطبها في الجابية ، عليكم بالجماعة واياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، وفيه ومن اراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . وقال ابن بطال مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة لقوله « لتكونوا شهداء على الناس » وشرط قبول الشهادة العدالة وقد ثبتت

لهم هذه الصفة بقوله وسطا والوسط العدل ، والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر ، وقال الكرماني مقتضى الأمر بلزوم الجماعة انه ملزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون وهم المراد بقوله (أي البخاري) وهم أهل العلم . والآية التي ترجم عليها احتج بها أهل الاصول لكون الاجماع حجة لانهم عدّلوا بقوله تعالى « جعلنا كم أمة وسطا » أي عدولا ، ومقتضى ذلك انهم عصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه قولا وفعلا اه ما أورده في الفتح وقوله عصموا الخ ممنوع كما تقدم

اقول ان التعديل للامة وانما يمثل الامة اهل الحل والعقد وهم المجتهدون الذين يناط بهم أمر الأمة ويجب عليها اتباعهم فيما اجمعوه وعزموه لا المجتهدون خاصة الذين ذكرهم جمهور المصنفين في الأصول الذين قد يكونون رجلين حرين أو عبدين أو امرأتين فان هذين لا يصح أن يصدق عليهما نص « وكذلك جعلنا كم أمة وسطا » فلله در ابن بطال فقد جاء بالحق وما بعد الحق الا الضلال

وقال البخاري في باب قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » من أواخر كتاب الاعتصام : وكان الأئمة بعد النبي (ص) يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الامور المباحة ليأخذوا بأسهلها فاذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي (ص) — وذكر قتال ابي بكر لمانعي الزكاة من غير استشارة عملا بالنص ثم قال — وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبانا وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل اه

هذا ما فتح به علينا عند طبع تفسير هذه الآية الحكيمة من المسائل التي يتجلى به معناها والترجيح بين أقوال المفسرين فيها انه يجب على جميع المؤمنين طاعة الله بالعمل بكتابه وطاعة رسوله باتباع سنته وطاعة جماعة أولي الامر وهم أهل الحل والعقد من علماء الامة ورؤسائها الموثوق بهم عندها فيما يضعونه لها بالشورى من الاحكام المدنية والقضائية والسياسية ومنها الصحية والعسكرية ، واذا وقع التنازع بين أولي الامر أو بين أفراد الامة وجماعاتها في شيء فيجب رده الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة والعمل بما يظهر للمتنازعين أو لمن يحكمونهم في فصل النزاع من النصوص أو مقتضى القواعد والاصول العامة فيهما أو القياس على ما عرفت

علته فيهما ولا نسلم قول الرازي والنيسابوري ان هذا الرد خاص بما لا نص فيه ولا إجماع لانه مبني على التنازع والخلاف ويجوز أن يقع التنازع والخلاف فيما فيه نص لم يعرفه المتنازعون كما اختلف المهاجرون والانصار على عمر في الدخول على مكان الطاعون مع وجود النص الذي رواه بعد ذلك عبد الرحمن بن عوف ولو جاء عبد الرحمن قبل تحكيم عمر لمشايخ قريش وروى لهم الحديث لعملوا به ولم يحتاجوا الى التحكيم ، فليتأمل المستقلون ماحققناه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من سومطرا ﴾

(س ١ــ٣) لصاحب الامضاء في فيلمبغ (سومطرا)

الى حضرة الاستاذ الاكبر مرشد الأنام، ومشيد دعائم الاسلام ، السيد محمد رشيد رضا . بعد التحية والاكرام بناء على واسع حلمكم ، ووافر علمكم ، أتجاسر على أن أقدم لحضرتكم بعض المسائل الدينية التي أعيانا حلها ، وقد أصبحت اليوم بطرفنا من الوقائع الحالية . مؤملا من حميد شيمكم أن تجيبونا عنها على صفحات مناركم المنير ، ولشدة مسيس الحاجة الى الجواب نلح على سماحتكم في المبادرة به فالناس لجوابكم منتظرون ولكم من الله جزيل الأجر ومنا جميل الشكر وهي هذه

(١) ما قولكم لابرحتم نوراً للمهتدين ، وحساماً مصلتاً على رقاب الملحدين ، في

جبانة ببلادنا تدفن فيها أموات المسلمين ، وقد اشتدت في هذه الأيام اليها حاجة الحكومة لجعلها رصيفاً على البحر لوقوف البواخر بسبب لياقتها لذلك وقربها من الميناء وقد أضحى من المتعذر هنا وجود غيرها من الاراضي التي تجدر بأن تكون رصيفاً وقد أعلنت الحكومة قصدها هذا وطلبت من المسلمين من غير اجبار أن ينبشوا موتاهم وينقلوهم إلى مكان آخر ليتسنى لها بحث الارض المطلوبة وتسويتها ولا برحت تكرر الطلب مع الاعلان بعدم الاكراه فهل يجوز للمسلمين والحالة هذه نبش موتاهم نظراً للمصلحة العمومية أم لا فان قلتم لا فهل يحصل الجواز لو فرضنا وجود الاكراه والاجبار من الحكومة أم لا يحصل ، تفضلوا سادتي بادروا بالجواب

(٢) وما قولكم لا زال مناركم شجاً في حلوق الدجالين، وشباً ترتعد منه فرائص المحتالين ، في خضاب اللحية أو حلقها هل ورد في السنة المنيفة نص يصرح بتحريم ذلك فان قلتم لا فهل وقع الاجماع على التحريم وما هو الحكم فيما لم ينص الكتاب والسنة على تحريمه ولا انعقد عليه الاجماع وهل للقياس مدخل في هذا الباب أفيدونا مأجورين

(٣) وما قولكم حفظكم الله وأبقاكم في صيانة الحياة هل يجوز في شرعنا الشريف الجنوح اليها وما الدليل على عدم الجواز لو فرضنا قولكم به فان سبق لكم في هذا كلام في المنار أو غيره فالمأمول من فضلكم عدم احالتنا عليه والمكرر يحلو جزاكم الله عن هذا الامة خيراً آمين السيد جعفر بن شيخ السقاف

﴿ ج ١ - نبش المقابر وجعلها للمصلحة العامة ﴾

المشهور في كتب الفقه ان المقابر المسبلة يحرم البناء فيها سواء كان المبني قبة أم بيتاً أم مسجداً ويجب هدمه قال ابن حجر الهيتمي حتى قبة إمامنا الشافعي التي بناها بعض الملوك وينبغي لكل أحد هدم ذلك مالم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للامام . وقال انه لا يجوز زرع شيء فيها لانه لا يجوز الانتفاع بها بغير الدفن . قال الشمس الرملي وقد أفتى جماعة من العلماء بهدم ما بني فيها ويظهر حمله على ما اذا عرف حاله في الوضع فان جهل ترك حملاً على وضعه بحق كما في الكنائس التي نقر أهل الذمة عليها في بلدنا وجهلنا حالها وكما في البناء الموجود على حافة الانهار والشوارع

وصرح في المجموع بحرمة البناء في المسبلة قال الاذرعي ويقرب إلحاق الموات بها لان فيه تضييقاً على المسلمين بما لا مصلحة ولا غرض شرعي فيه بخلاف الاحياء اه وتأمل تقييده الحرمة بالتضييق بما لا مصلحة فيه وهل يعمل بمفهومه من انه اذا كانت هنالك مصلحة عامة وامتنع التضييق باستبدال تلك المقبرة بغيرها فانه يجوز؟

وأما نبش القبور فان كان قبل البلى حرم الا لضرورة وعدّ الفقهاء منها الدفن بغير غسل أو في أرض مغصوبة أو ثياب مغصوبة أو لغير القبلة أو وقع في القبر مال وغير ذلك قال الرملي في النهاية أما بعد البلى عند من مر (أي أهل الخبرة بتلك الارض) فلا يحرم النبش بل تحرم عمارته وتسوية ترابه عليه اذا كان في مقبرة مسبلة لامتناع الناس من الدفن فيه لظنهم عدم البلى

وقال الشعراني في الميزان الكبرى « واتفقوا على انه لا يجوز حفر قبر الميت ليدفن عنده آخر الا اذا مضى على الميت زمن يبلى في مثله ويصير رميا فيجوز حينئذ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول اذا مضى على الميت حول فازرعوا الموضع اه والشافعية صرحوا بمنع زراعة المقبرة المسبلة والموقوفة كالبناء عليها وتشريف القبور فيها لان ذلك يمنع من الانتفاع

وفي كتاب (كشف القناع عن متن الاقناع) من كتب الحنابلة المعتبرة ان البناء على القبر مكروه وفي المسبلة أشد كراهة وعن الامام أحمد منعه في وقف عام ثم قال ما نصه : (واذا صار) الميت (رميا جازت الزراعة وحرثه) أي موضع الدفن (وغير ذلك) كالبناء عليه قاله أبو المعالي (والمراد) أي بقول أبي المعالي تجوز الزراعة والحرث ونحوها اذا صار رميا (اذا لم يخالف شرط الواقف لتعينه الجهة) بان عين الارض للدفن فلا يجوز حرثها ولا غرسها اه المراد منه ثم ذكر جواز نبش قبور المشركين لتتخذ مكانها مسجداً لان موضع مسجد النبي (ص) كان مقبرة لهم فاشترى الارض وأمر بنبشها وجعلها مسجداً ، وكذا اذا كان فيها مال . وعبر في المنتهى من كتبهم بقوله « ويباح نبش قبر حربي لمصلحة أو لمال فيه »

هذا ما رأيت ان أورده من كلام الفقهاء، والمذاهب فيه متقاربة ولا أذكر نصا صريحا عندهم في الواقعة، وقد رأيت ما ذكره بعضهم من المصلحة . وجمهورهم على ان المقبرة الموقوفة أو المسبلة ليس لأحد ان يتصرف فيها بغير الدفن حتى انهم منعوا ان يحفر الانسان فيها قبرا لنفسه أو لغيره من الاحياء ليدفن فيه عند الموت، ومن الفقهاء من يرى انه يجوز التصرف في الوقف بالاستبدال وبما هو أقرب الى مقصد الواقف،

والتصرف في المسبلة أهون ، وروي عن الامام أحمد جواز استبدال مسجد بمسجد للمصلحة واحتج بأن عمر أبدل مسجد الكوفة القديم بآخر وصار الأول سوقاً ، وجوز أن يباع ويبنى بثمنه غيره للمصلحة ولو في مكان أو بلد آخر .

أما الكتاب فلا ذكر فيه لهذه المسألة والسنة كذلك الا أنه ورد فيها مما يتعلق بالمسألة حديث بناء مسجد النبي (ص) في مكان كان مقبرة وتقدمت الاشارة الى ذلك في كلام الفقها وحديث جابر عند البخاري والنسائي قال دفن مع أبي رجل فلم تطب نفسي حتى أخرجته فجعلته في قبر على حدة . قال بعض العلماء وفيه دليل على انه يجوز نبش الميت لامر يتعلق بالحي · أي على رأي من يعد فعل الصحابي حجة وهو خلاف ماعليه الجمهور ولو كان لهم عناية بالاحتجاج لهذه المسألة لقالوا ان هذا العمل مما لايخفى وقد أقره الصحابة عليه فكان إجماعا وكم قالوا مثل ذلك

والذي أراه ان هذه المسألة كسائر المسائل التي لانص فيها عن الشارع ترد الى أولي الامر من المسلمين وهم رؤس الناس وأصحاب العلم والمكانة فيهم فيتشاورون فيها ويقررون مايرون فيه المصلحة للمسلمين فاذا رأوا المصلحة في استبدال مقبرة أخري بها استبدلوا ولهم ان ينقلوا حينئذ رمم الموتى ويدفنوها في المقبرة الجديدة والا فلا وأما اذا أكرههم الحكومة على ذلك فالامر ظاهر انهم يكونون معذورين

(ج - ٢ خضاب اللحية وحلقها)

أما خضاب اللحية وكذا غيرها فهو مستحب وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة الامر به كحديث « أبي هريرة في الصحيحين » ان اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم » وهناك أحاديث أخرى وفيها تصريح بالخضاب بالحمرة والصفرة والحناء والكتم وهو بالتحريك نبات بالبادية خضابه أصفر واذا مزج بالحناء جاء لون الشعر بين السواد والحمرة ، وخضب النبي (ص) كما صححه النووي والحسن والحسين وكثير من كبراء الصحابة وكره بعض العلماء الخضاب لما وردمن وصف الشيب بالنور وقال بعضهم يتبع عادة بلده لان هذه المسألة من العادات لامن العبادات ، ولكن آداب السلف أعلى فينبغي إيثارها

قال علي القاري في شرح الشمائل ثم ان القائلين باستحباب الخضاب اختلفوا في انه هل يجوز الخضب بالسواد والافضل الخضاب بالحمرة والصفرة فذهب أكثر

العلماء الى كراهة الخضاب بالسواد وجنح النووي الى أنها كراهة تحريم وان من العلماء من رخص فيه للجهاد ولم يرخص في غيره واستحبوا الخضاب بالحمرة أو الصفرة لحديث جابر قال أتي بأبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً فقال رسول الله (ص) غيروا هذا واجتنبوا السواد أخرجه مسلم — ثم قال — والثغامة بضم المثلثة وتخفيف المعجمة نبات شديد البياض زهره وثمره ، ولحديث أبي ذر رفعه « ان أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم » أخرجه الاربعة وأحمد وابن حبان وصححه الترمذي وتقدم ان الصبغ بهما يخرج بين السواد والحمرة اه

أقول حديث مسلم في أبي قحافة رواه أحمد من حديث أنس بلفظ « ولا تقربوه السواد » وزاد فى الفردوس يعني أبا قحافة فالنهي في الحديث خاص به والسواد للشيخ الهرم يستقبح . وفي الباب حديث ابن عمر عند الطبراني والحاكم « الصفرة خضاب المؤمن والحمرة خضاب المسلم والسواد خضاب الكافر » والحديث منكر كما قال الحافظ الذهبي وقال الهيتمي فيه من لم أعرفه ، وحديث ابن عباس عند أبي داود والنسائي سيكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يجدون رائحة الجنة . زعم العراقي ان اسناده جيد ولكن قال ملا علي القاري فى إسناده مقال ، ولو كان مما يحتج به لجزموا بالتحريم ، وحديث أبي الدرداء « من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة » قال علي القاري إسناده لين اه والصواب ان ضعفه أشد من ذلك ولا يصح في هذه الحنيفية السمحة مثل هذا الوعيد فيما لا ضرر فيه في دين ولا نفس ولا عرض ولا عقل ولا مال وهي الكليات الخمس المحرمات في الاسلام . على ان هذه الاحاديث الضعيفة معارضة بمثلها وبما هو أقوى كحديث الامر المطلق بالصبغ في الصحيح وحديث صهيب عند ابن ماجه « ان أحسن ما اختضبتم به لهذا السواد أرغب لنسائكم فيكم وأهيب لكم في صدور عدوكم » ولاجل التعليل الثاني قال بعض العلماء ان كراهة الخضاب بالسواد تنتفي بنية الجهاد أي لمن هو من أهله وحملوا على ذلك ما روي عن بعض السلف من الاختضاب به ومنهم ابن عمر وسعد بن أبي وقاص (رض) وما ورد من تعليل كراهة السواد بكونه كان من

عادة الكفار يفيد زوال الكراهة بانتفاء اختصاصهم بذلك ، وتتجه الكراهة الشديدة بل التحريم اذا كان في الخضاب غش محرم

وأما حلق اللحية فهو مكروه فان من آداب السنة قص الشارب واعفاء اللحية وفي ذلك عدة أحاديث في الصحيحين والسنن وقد علل ذلك فيها بمخالفة المشركين والمجوس واليهود والنصارى وذلك ان الامم تمايز بآدابها وعاداتها وأزيائها وانما يتشبه الضعيف بالقوي ، والواطئ بالعلي ، وقد يفضي إسراف الضعيف في التقليد والتشبه الى ضياع استقلاله ، وتمكين من يتشبه بهم ويقلدهم من التصرف بجميع أمره ، فلا يقولن قائل ان هذا من أمور العادات لا من أمور الدين ، وقد فقه حكمته وفائدته للمتبعين ، وأشهر الاحاديث في ذلك حديث ابن عمر مرفوعاً (خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفروا اللحى) رواه الشيخان . وإذا زال الاختصاص زال معنى التمايز وقد صار بعض المسلمين يعفي لحيته تشبهاً بالافرنج . وأما سؤال السائل في هذا المقام عن العمل بما لم يرد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع فقد أشرنا الى جوابه بالاجمال في الجواب الاول وتراه مفصلا في تفسير هذا الجزء من المنار وما قبله

(٣ — ضمان الحياة)

لم يذكر السائل كيفية هذا الضمان ولا عقده والمشهور ان هذا من العقود التي تشبه الميسر (القمار) في كون الذي يعطي المال لشركة الضمان لا يعطيها إياه في مقابلة عمل تعمله له أو منفعة تسديها اليه وانما يرجو بذلك أن تأخذ ورثته منها اكثر مما أعطى إن هو مات قبل المدة المعينة ، وجمهور الفقهاء يصرحون بأن مثل هذا العقد باطل ومحرم لما فيه من إضاعة المال الواجب حفظه وعدم بذله الا فيما فيه منفعة دينية أو دنيوية معلومة أومظنونة . وليست كل العقود التي يحكم الفقهاء ببطلانها محرمة دينا فانهم قد يشترطون شروطا اجتهادية لا يحكم قاضيهم ولا ينفذ أميرهم الحكم الا اذا تحققت في العقد وان لم يكن في ترك الشرط منها مخالفة لأمر الله ورسوله . وقد صرح بعض الفقهاء بحل جميع العقود والشروط التي يتعاقد الناس عليها ويشترطونها اذا لم تكن مخالفة للكتاب والسنة الصحيحة وهذا هو الصواب وقد ذكرناه في المنار غير مرة وربما نفصل القول فيه في وقت آخر تفصيلا

جمعية الدعوة والارشاد

(٣٩: ٤٦ قل اللهمّ فاطرَ السموات والارض عالمَ الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

أشهد الله وملائكته والصالحين من عباده بأنني سعيت الى إنفاذ مشروع الدعوة والارشاد في القسطنطينية وأنا أعتقد اعتقادا راسخا لازلزال فيه ولا اضطراب انه انفع مايخدم به دين الاسلام في نفسه وانه أقرب الطرق لارتقاء المسلمين في دينهم ودنياهم وان البلاد العثمانية ستكون هي التي تجني بواكر ثمراته وأن سيكون من هذه الثمرات ائتلاف الشعوب العثمانية وتعاونها على ترقية البلاد في العلوم والاداب والثروة والعمران وشدة الاتحاد بالدولة ومنع الفتن والثورات الداخلية لان المرشدين للعامة إذا كانوا من العلماء الاتقياء الخطباء يكون تأثيرهم أقوى من كل تأثير

سعيت الى انفاذ المشروع هناك فرأيت جميع العقلاء حتى من غير المسلمين متفقين على نفعه وفائدته وكونه لا يحل محله سواه حتى ان جريدة صباح ولا توركي أثنتا عليه وهما لغير المسلمين ولكن تصدى لمقاومته رجلان من المسلمين أحدهما من رجال الحكومة وجمعية الاتحاد والترقي والآخر من المبعوثين ، قاوماه في الباطن ، وهما يدعيان المساعدة عليه في الظاهر ، فاما رجل الحكومة والجمعية فلا أصرح باسمه الآن ويعرفه جميع أعضاء جمعية العلم والارشاد التي أسسناها هناك وأكثر أهل البصيرة في الاستانة من العلماء وغيرهم ، وأما المبعوث فهو عبيدالله افندي مبعوث أزمير وصاحب الجريدة المسماة بالعرب ، .

أقمت في الاستانة سنة كاملة كما علم قراء المنار ومعظم أعمالي في مصر معطلة ثم عدت ولايزال يبلغني من بعض أصحاب الشأن في حكومتها انهم يريدون تنفيذ المشروع الذي وافقوا عليه فيها وعن غيرهم انهم لايريدون ذلك ، وهذا ماحملني على السعي لتنفيذه هنا باوسع وأكمل مما وافقوني عليه هناك

لايختلف اثنان في أن أول مايبدأ به في مثل هذا العمل هومكاشفة من يرجى منهم القيام به ودعوتهم الى الاجتماع والتشاور فيه وهذا مابدأت به ، وقبل ان يتم اختيار الافرادالذين أحببت ان يكونوا هم المؤسسين قامت جريدة العلم التي هي لسان حال الحزب الوطني بمصر ترجف بالمشروع وتلبس على الناس أمره باتفاق محمد بك فريد رئيس الحزب والشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة العلم على مقاومته فكان مثل خذلان المسلمين لانفسهم ولدينهم بمصر والاستانة واحداً

كانت جريدة العلم زعمت انه يوجد بمصر جمعية تدعى جمعية الاتحاد العربي غرضها فصل البلاد العربية من الدولة العثمانية واقامة خليفة عربي فيها تحت حماية الانكليز، وانها تعمل أعلاما مطرزة لترسلها الى البلاد العربية ثم مزجت مشروع الدعوة والارشاد بتلك الاوهام ، وأطلقت القول في ذم العرب

خرق في السياسة وسعاية للايقاع بين الشعبين الكبيرين المقومين للامة العثمانية وهما العرب والترك عن جهل أو علم فالشعب العربي أكثر عدداوأوسع بلادا وقيمته وقيمة بلاده المعنوية في هذه الدولة أعظم من كل شيء ، وهذا الطعن فيه يتضمن الطعن في الدولة نفسها كما نعلم ذلك من العهد الحميدي المظلم الذي كان يروج فيه مثل هذه السعايات والوشايات الوهمية التي كانت جريدة اللواء ترجف بها

ليس هذا المقام بمقام البحث في هذه المسألة وانما ذكرتها لأبين ان جريدة العلم بنت عليها الطعن والارجاف في مشروع الدعوة والارشاد وجعلته تابعاً لها ووسيلة اليها وهو المشروع المقدس من أدناس السياسة وأهلها المفسدين وكأن المغرور بما أرجف به كان يتوهم انه بارجافه يقضي على هذا المشروع ويقتله وهو جنين حتى لا يطمع أحد في وجوده فيعمل له !! وفاته ان المخلصين لا يبالون من رماهم بالريبة ، وأكل لحومهم بالغيبة ، ولا يثنيهم عن عملهم الافك والبهتان وإنما يزيدهم ذلك إيماناً وعزماً ويقولون حسبنا الله ونعم الوكيل

وهانحن أولاء نسجل ما كتب في جريدة العلم مع الرد عليه ليكون من مادة تاريخ هذا المشروع الجليل وللزمان الحكم الفصل في اظهار الحقائق للمائين ، وإبطال أباطيل المبطلين ، والى الله المصير والعاقبة للمتقين

المقالة الأولى لجريدة العلم

نشرت جريدة العلم بعد الذي أشرنا اليه في المقدمة المقالة الآتية في عددها ٢٠٥ الذي صدر في ٨ المحرم وهذا نصها :

﴿ مدرسة التبشير الاسلامي ﴾

« ماوراء الحجاب »

ان فكرة ارسال مبشرين بالاسلام في اطراف الارض لنصح العامة وتمكين عقيدة التوحيد في نفوس أهل الشرك قد عرضت في العهد الاخير للاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ولقد سمعناه يقول انه لو لا حكم عبد الحميد ووساوسه لعرض على الدولة العلية اتخاذ الآستانة التي هي دار الخلافة مقرا لتلك المدرسة الدينية

مات الشيخ عبده ودالت دولة عبد الحميد وحل الدستور والعدل والعقل محل الفوضى والظلم والجنون فخطر للشيخ رشيد فيما نظن تحقيق أماني استاذنا المرحوم فذهب الى دار السعادة وأفضى بمشروعه الى ذوي الحل والعقد هناك فرحبوا به لانه من الضرورات اللازمة للعالم الاسلامي وقد تمكنت الجهالة بأصول الاسلام من نفوس عامة المسلمين وخاصتهم حتى ان أحدهم ليسمع آي كتاب الله أو شيئا من سنة رسوله المصطفى فلا يخيل اليه الا أنها بدع أو مفتريات تلصق بالدين !

رحب رجال الدولة بهذا المشروع وأرادوا ان يحلوه محله الطبيعي بجعله تحت رعاية شيخ الاسلام الذي له ذون سواه الاشراف على المعاهد الدينية فأبى ذلك صاحب المشروع وزادهم نفورا منه فيما يقولون ما اتصل بهم (ان صدقا وان كذبا) من افراطه في الاشتغال بالمسألة العربية واغراقه في التحرش بالاتراك . لقد كان يبلغهم ذلك فيظنون بالشيخ الظنون ويخشون مغبة تسليمه مقاليد تلك المدرسة فأبوا الا ان تلحق رأسا بالمشيخة وهم الآن فيما نعلم يشتغلون باقامتها واختيار المعلمين

الصالحين لها كما انهم مشتغلون بوضع برامجها وميزانيتها ونظامها وربما افتتحت في المستقبل القريب ان شاء الله تعالى

ولقد نقل الينا من الآستانة العلية ان الشيخ رشيد رضا لم يكد ييأس من استقلاله بأمر تلك المدرسة حتى سارع الى الاستعانة ببعض ذوي السلطان من العرب لينشئوا مدرسة للتبشير عربية . ويدور في الاندية من الاشاعات والاقاويل مالا يسعنا الا استبعاده

فمن ذلك ان جمعية الاتحاد العربي هي التي تسعى وراء ذلك في الخفاء وتريد ان توجد تلك المدرسة لتخرج في الظاهر مبشرين بالاسلام وفي الباطن مبشرين بدعوتهم الخصوصية الى مناهضة الاتراك والاستبداد بالوظائف ونحو ذلك من الأغراض الحقيرة

ومن الاقاويل ان الموعز بذلك هم الانكليز يريدون ان يبلغوا بذلك ما يتمنونه من تقويض دعائم المملكة العثمانية (خلدها الله) ليقيموا بدلها خلافة عربية يضعونها في أيدي عباد الشهوات والاموال حتى يتم لهم الاحتكام المطلق في العالم الاسلامي (لا قدر الله) كما تم لدولة المماليك الذين سخروا الخلفاء في عهدهم لبلوغ مآربهم وقصوروهم على الخطبة والصلاة على الجنائز والتصدر في المواكب والمجالس

ولقد ظلت الخلافة الاسلامية في ذلك التعس والانحطاط حتى قيض الله لها آل عثمان فرفعوا من شأنها وأعلوا من كلمتها ودافعوا عن بيضتها . فالانجليز يريدون اليوم بتشجيع تلك العصبة الغوية الغافلة أن يعيدوا للخلافة الاسلامية ذلك العهد الذي كان شرا ووبالا على العالم الاسلامي جميعه فيتخذوا من تلك العصبة خليفة يقيمون به دولة سلطانها الأعظم وخاقانها الافخم الملك جورج الخامس ويؤسسون ملكا يكون حاكمه العامل السير ادوارد جراي وكعبته المقدسة لندن

ومن الاشاعات المتناقلة أيضا أن القائمين بهذا المشروع مخلصون لا يريدون الا الخير للعالم الاسلامي ولكنهم مع ذلك يخطئونهم في عدم أخذهم بالحزم من الامور اذ استهانوا بما يحف بعملهم هذا من الشبهات وما يتعوره من الشكوك . ويقول هؤلاء انه كان الاجل ان يتربص بالامر قليلا حتى تقيم الدولة العلية

مدرسة الاستانة فتلحق مدرسة القاهرة بها أو أن يكتفى بتلقين تلاميذ الازهر جميع ما يلزم المبشرين من فنون الوعظ وأساليب الارشاد . واذا علمنا ان برنامج الازهر أمثل الاشياء وأشبهها بما يرمي اليه ذلك المشروع نعلم أن زيادة مادة أو مادتين على ما احتواه بالفعل كافية لجعل الازهر تلك المدرسة التي يريدونها ويسعون الى اقامتها دون أن يكون من وراء ذلك مجلبة للظنون ومثار التهم . واذا ارتأى بعض القائمين بهذا المشروع عدم كفاءة علماء الازهر لتدريب طلاب التبشير وتمرينهم على هذا الفن الجديد فليتقدم بنفسه اما متطوعا أو مأجورا ليقوم في الازهر بهذا الامر وليكون له في العاقبة جميل الشكر وجزيل الاجر

هذا ما رأينا أن نقدمه من النصائح للقائمين بهذه الحركة الجديدة ناصحين للمخلصين منهم أن يتجنبوا مواطن الشبه والا يساعدوا العاملين على التحرش بدولتهم الناهضين لاخوانهم العثمانيين المساعدين للدسائس الاجنبية المروجين للفتن الداخلية فليتقوا الله في دينهم وليتقوا الله في جامعتهم وليتقوا الله في أنفسهم فانما هلك من قبلهم بهذا الطيش والرعونة وبالكدح الى نيل مآربهم السافلة الحقيرة

واذا كان الاتراك فيما تزعمون قد اغتالوا ما تسمونه بالوظائف واستبدوا بها فانما هم اخوانكم في الدين وشركائكم في الجنسية

واذا كانوا أصابوكم بشيء من الاذى كما تقولون فقد قال المثل قديما أنفك منك ولو كان أجدع

فاتقوا الله واحذروا أن تنصب عليكم داهية ككسف الليل المظلم لا تجدون منها مخرجا ولا ترجون بعدها فرجا

الا انني لا أخاف على الدولة العلية من رعاياها البلغاريين ولا اليونانيين ولا الارمن ولا العربي المسيحي وانما أخاف عليها العربي المسلم يطمح الى الوظائف ويعمد الى كتاب الله فيستفز العامة بما يؤول من آياته ويحرف من بيناته ولولا نزغات الشياطين لكان العالم الاسلامي كما أمره الله أمة واحدة ولقام بدل المفرقين منهم أمة تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحفظ حدود الله وتصلح بين الناس حتى لا يحب أحدهم لاخيه الا ما يحب لنفسه

ولكن «هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » اه

* * *

(المنار) هذا أول ما كتبه الشيخ عبد العزيز شاويش في جريدة العلم التي هي لسان حال الحزب الوطني إرجافا بالمشروع من غير مشاورة أعضاء مجلس ادارة الحزب ولا لجانه ولكن بأمر محمد بك فريد . وقد جعل في الكلام منافذ لأجل الخروج منها اذا أضطر الى الرجوع عن مقاومة هذا المشروع الاسلامي الجليل فبنى كلامه على « أقاويل » افتجرها وقال انه يستبعدها ، ورأيت بعدها بعض اصحابه يقصدون الى محادثتي في المشروع و يمزجون كلامهم بالتعريض ثم التصريح باستحسان دعوتي إياه ليكون من المؤسسين ويذكرون من الرأي في الاستفادة منه مايذكرون ، وقد ذكر بعضهم من أمره وحاله في عمله الذي هو فيه مالا نذكره ، فقلت لهم ان هذا المشروع يجب ان يكون بعيدا من السياسة والمشتغلين بها فلهذا السبب ولاسباب أخرى لا يمكن أن يكون الشيخ شاويش من المؤسسين لهذا العمل والمديرين له الان ، وقد كنت عازما على استشارته فيه وطلب مساعدته عليه قبل أن يتهور في الارجاف به وتشكيك الناس فيه ، أما وقد فعل فعلته ، فقد أغنانا الله عن مساعدته

بنى الشيخ شاويش إرجافه على الأقاويل المفتجرة وهو يعلم ان جماهير العامة لا يلتفتون الى كلمة الأقاويل المستبعدة ، وكلمة « ان صدقاوان كذبا » وانما يأخذون من جملة الكلام ان هذا المشروع ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب لأنه سيفصل البلاد العربية من جسم المملكة العثمانية ، ويؤسس فيها خلافة المملكة انكليزية ، ! ! بخ بخ لهؤلاء الزعماء الخادمين للدولة بمثل هذه الدسائس التي كانت شر السيئات الرائجة في سوق السياسة الحميدية

كتب الشيخ شاويش ما كتبه ونحن في ابتداء دعوة الفضلاء المخلصين للاسلام الى العمل فعلمنا ان في الناس من ضعاف الرأي ومقلدة الجرائد الذين هم أتباع كل ناعق من يصدق كل ماينشر فيها لعجزهم عن تمحيص الكلام ، والتمييز بين الممكن والمحال ، فلاجل هذا كتبت المقالتين الآتيتين لا نشرهما في الجرائد ابطالا لارجاف جريدة العلم ، و بيانا للمشروع في نفسه ليعلم حقيقته من لم يعلم ،

المقالة الاولى

(التي كتبت ردّاً على جريدة العلم التي يصدرها الحزب الوطني)

﴿ مشروع العلم والارشاد في الآستانة ﴾
« والدعوة والارشاد بمصر »

(٤١ : ٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

ذكر هذا المشروع في بعض الجرائد محفوفا بأوهام غريبة عنه ونشرت جريدة « العلم » مقالة افتتاحية في العدد الذي صدر في ثامن المحرم ارجف كاتبها فيها بالموضوع إرجافاً مبنيا على أقاويل لايجزم بصحتها وكان يسهل عليه ان يراجعني أو يراجع المنار ويرى فيه ما كتبته عن المشروع وأنا في الآستانة بين أولي الامر وأهل الحل والعقد ، وكذا ما كتبته فيه وفي جرائد الآستانة التركية والعربية من المقالات في إزالة سوء التفاهم بين العرب والترك والتأليف بينهم بحجج الاسلام القيمة، وآيات السياسة البينة

فان كان لم يتح له الرجوع الى صاحب المشروع ولا مراجعة ما كتبه فان صاحب المشروع يكتب بيانا وجيزا يعلم منه خطأ تلك الاقاويل التي بنى عليها كلامه لعله يرجع عنه وينقض تلك الشكوك التي أقامها حول أفضل وأقدس عمل ديني اجتماعي يخدم به المسلمون دينهم وهو الدعوة الى الاسلام ودفع شبهات المشككين فيه والمنفرين عنه وهو فاعل ان شاء الله تعالى ان كان حسن النية فيما أخطأ فيه من قبل

ليست فكرة الدعوة وبث الدعاة الى الاسلام بالفكرة التي حدثت عندي في هذه الايام فيقال إنني أريد أخدم بها جمعية سياسية جديدة ان صح ماأذاعته جريدة العلم ولم نسمعه الاعنها من خبرهذه الجمعية، وإنما هي أمنية قديمة صارت رغبة ثم اقترنت بها العزيمة بعد تمهيد طويل واليك البيان بالايجاز :

كنت في أيام طلبي للعلم في طرابلس الشام أتردد بعد الخروج من المدرسة الى مكتبة المبشرين الامريكانيين اقرأ جريدتهم الدينية وبعض كتبهم ورسائلهم وأجادل قسوسهم ومعلميهم وأتمنى لوكان للمسلمين جمعية كجمعيتهم ومدارس كمدارسهم

ولما هاجرت الى مصر وأنشأت المنار قويت عندي هذه الفكرة وأحببت أن أنبه المسلمين لها فكتبت في جمادى الاولى من سنة ١٣١٨ مقالتين عنوان إحداهما (الدعوة حياة الاديان) وعنوان الثانية (الدعوة وطريقها وآدابها) ونشرتهما في المجلد الثالث من المنار ، وكتبت مقالات أخرى في الرد على كتب وصحف دعاة النصرانية الذين يطعنون في الاسلام عنوانها العام (شبهات النصارى وحجج المسلمين) وكنت أقصد بذلك إعداد النفوس للقيام بهذه الفريضة فريضة الاجتماع والتعاون على الدعوة ، اي انني بدأت بالكتابة في ذلك منذ عشر سنين او اكثر

وفي سنة ١٣٢٣ توجهت نفسي للسعي والعمل فكتبت في المنار مقالة نوهت فيها بالدعوة واشرت الى ماتحتاج اليه من الاستعداد ، وبحثت فيها عن دعوة اليابانيين الى الاسلام ، وكان قد شاع انهم يريدون عقد مؤتمر ديني للبحث عن امثل الاديان وأجدرها بالاتباع ليتبعوه ، وبدأت بالسعي لتأسيس جمعية للدعوة يكون أول عملها إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة ، وجعلت تلك المقالة تمهيدا لذلك فكان لها تأثير حسن في الاقطار الاسلامية شرقيها وغربيها ، وبدأت المكاتبة في ذلك بيني وبين أهل الغيرة من الصين الى بلاد المغرب ، وقد اشرت الى ذلك في الجزء الاول من المنار الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٤ أي منذ خمس سنين

كاشفت يومئذ بهذا الأمر كثيرا من أصدقائي بمصر ورغبت الى صاحب الدولة رياض باشا أن يكون رئيس الجمعية التي تقوم بالاكتتاب لتنفيذ العمل ، والى محمود بك سالم أن يكون كاتب السر لها والى حسن باشا عاصم (رحمه الله

تعالى) ومحمد بك راسم وغيرهما من الفضلاء أن يكونوا أعضاء مؤسسين ، واجتمع بعض من دعوتهم للمذاكرة في ذلك مرارا في ادارة المنار

وشاورت يومئذ أحمد مختار باشا الغازي في العمل فاستحسنه هو وولده محمود باشا وعدني ولده بالاشتراك بمئة جنيه في السنة عدا مايدفعه من نفقات التأسيس

ولكن عرض في أثناء السعي دعوة مصطفى كامل بك الغمراوي الى تأسيس مدرسة جامعة مصرية وتلت ذلك العسرة المالية في مصر فوقف الاكتتاب للمدرسة الجامعة ، ووقف أيضا سعيي الى مشروع الدعوة

ثم حدث في سنة ١٣٢٦ الانقلاب العثماني الذي كنا نسعى اليه في الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذي كان مانعا في بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين فعزمت أن أجعل مشروع الدعوة والارشاد في الآستانة لاسباب أهمها أمران (أحدهما) انني أرجو من نجاحه ومساعدته والثقة به بالآستانة في ظل الدستور ما لا أرجوه في مصر التي كنت أتوقع فيها مقاومة الحزب الوطني كما كنت احذر مقاومته في طلب الدستور من السلطان عبد الحميد فاشتغل بذلك سرا (وثانيهما) انني رأيت بلاد الدولة تكثر فيها الفتن باختلاف العناصر والاديان والمذاهب ، وانني أعلم أن لكل طائفة من النصارى العثمانيين مدارس دينية تابعة لبطاركهم على شدة اقبالهم على مدارس دعاة دينهم من الافرنج ، واعلم ان المسلمين هم المحرومون من ذلك ، فقلت في نفسي أن تأسيس المشروع في الآستانة تكون فائدته الاولى ترقية مسلمي الدولة العلية في دينهم ودنياهم والتأليف بينهم وبين أبناء وطنهم ، ومنع أسباب الفتن والخروج على الدولة من أقرب طرقها وهو الوعظ الديني ، وبذلك يكون ارتقاء الامة العثمانية الاجتماعي والاقتصادي سريعا وبه تزيد ثروة الدولة وقوتها

رحلت الى الآستانة في أواخر رمضان من سنة ١٣٢٧ بعد مكاتبة في المشروع مع بعض معارفي فيها ومع بعض رجال جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك ظهر لي منها ميلها الى مشروعي حتى انها سألت عن سفري بلسان البرق وتلقتني بالحفاوة في أزمير والآستانة ، وقد اقمت في الآستانة سنة كاملة لا عمل لي فيها الا السعي لهذا

المشروع وحسن التفاهم بين العنصرين المقومين لهذه الدولة وهما العرب والترك اللذان شبهتهما بالعنصرين المكونين للماء أو الهواء ، وقد كتبت في هذه المسألة الاخيرة مقالات نشرت اكثرها هنالك بالتركية والعربية في جريدة إقدام وجريدة كلمة الحق ثم جريدة الحضارة ، ويجدها القارئ كلها في مجلدي المنار للسنتين الماضيتين

عرضت المشروع هنالك على وزراء الدولة وكبرائها من رجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم فاتفقت كلمتهم بعد البحث معي في لجنتين احداهما علمية والاخرى سياسية على أن يصرف النظر عن البحث في مسألة تخريج الدعاة الى الاسلام وان تسمى المدرسة المراد إنشاؤها (دار العلم والارشاد) وجمعيتها (جمعية العلم والارشاد) وكان وصل المشروع في وزارة حسين حلمي باشا الى حيز التنفيذ إذ قال لي : ان العمل قد تم نهائيا فألف الجمعية حالا ونحن نصرف لكم الآن خمسة آلاف ليرة لأجل الابتداء بالعمل وفي أول السنة المالية نزيد لكم بقدر الحاجة ، ولكن استقالت وزارة حسين حلمي قبل أن نتمكن من تأليف الجمعية

ثم استأنفت العمل في وزارة حقي باشا وقد عرض عليّ ناظر الداخلية وناظر المعارف فيها ان آخذ رخصة المدرسة باسمي وأدع مسألة الجمعية الى فرصة أخرى فلم أقبل وقلت يجوز أن أموت بعد مدة قليلة وحينئذ تصير المدرسة لورثتي وهم ليسوا أهلا لهذا العمل فلا بد من جمعية دائمة

وقد فوضت اليهم اختيار الاعضاء المؤسسين فاختارهم ناظر المعارف مع مدير شعبة الالهيات والادبيات في دار الفنون من صفوة رجالهم في المشيخة الاسلامية ومجلس الامة ونظارات الحكومة وقد ذكرت أسماءهم في الجزء السادس من المنار الذي صدر في آخر جمادى الاخرة سنة ١٣٢٨ ومنهم شيخ الاسلام الحال (وكان من أعضاء مجلس الاعيان والمدرسين) ومستشار المشيخة ، واقترح بعض الاعضاء أن يكون شيخ الاسلام رئيس شرف للجمعية فقبلت

* * *

قال صاحب مقالة جريدة (العلم) في مقالته التي أردعليها بعد ذكر رحلتي الى الآستانة وعرض المشروع على أولي الشأن ما نصه :

« رحب رجال الدولة بهذا المشروع وأرادوا أن يحلوه محله الطبيعي بجعله تحت رعاية شيخ الاسلام الذي له دون سواه الاشراف على المعاهد الدينية فأبى ذلك صاحب المشروع وزادهم نفورا منه فيما يقولون ما اتصل بهم (ان صدقا وان كذبا) من إفراطه في الاشتغال بالمسألة العربية وإغراقه في التحرش بالأتراك. لقد كان يبلغهم ذلك فيظنون بالشيخ الظنون ويخشون مغبة تسليمه مقاليد تلك المدرسة فأبوا الا أن تلحق بالمشيخة وهم الآن فيما نعلم يشتغلون باقامتها » اهـ

أقول (١) قول الكاتب انهم رحبوا بالمشروع - يعني المشروع الذي عبر عنه بالتبشير الاسلامي - غير صحيح وانما رحبت وزارة حسين حلمي باشا بمشروع تربية المرشدين الذين يكونون وعاظا ومعلمين المسلمين لشدة الحاجة اليهم في بلاد الدولة العلية وأراد ان ينفذه كما اقترحت من غير ان يكون لشيخ الاسلام رأي فيه ولا إشراف عليه

(٢) لما سقطت وزارة حلمي باشا بقيت بضعة أشهر أراجع وزارة حقي باشا حتى اقتنعت بوجوب تنفيذ مشروع العلم والارشاد - لا الدعوة والارشاد - بواسطة جمعية لا بواسطة شيخ الاسلام وتأسست الجمعية وصدقت عليها الحكومة رسميا وقانونها أو نظامها الاساسي مطبوع في المنار (ج ٦ م ١٣)

(٣) ان كون المشروع في يد جمعية من خيار رجال العاصمة ينافي ان يكون بيدي فلا محل لخوفهم مني ان صح انهم سمعوا عني ماينفرهم ، فان كان جعل المدرسة تابعة المشيخة مبنيا على عدم الثقة فانما ذاك عدم الثقة بالجمعية التي ألفوها لا بعضو واحد له فيها صوت واحد وان كان هو صاحب المشروع

(٤) الحق الذي وقع هو انه لم يقترح أحد من رجال الدولة جعل هذا المشروع تابعا للمشيخة بل كانوا كلهم متفقين على جعل المدرسة من المدارس التي يسمونها (المكاتب الخصوصية) وعلى ان فائدتها بأن لاتكون من مدارس الحكومة الرسمية (ولا أزيد على هذا الآن)

(٥) انا بعد تأسيس الجمعية وتصديق الحكومة عليها طلبنا من شيخ الاسلام ان يستنجز الحكومة ماوعدتنا به من المال فقال لنا بعد ان ذاكر الصدر الاعظم

واتفق معه على ذلك ا كتبوا ماتريدون من المساعدة فكتبت صورة مذكرة وترجمها كاتب الجمعية العام بالتركية وأعطيناه اياها فأمر بتبييضها ثم ختمها وأخذها بيده الى الباب العالي وبقيت انا ألح بعرضها على مجلس الوكلاء لاجل تقريرها زمنا طويلا حتى عرضت و بشرني شيخ الاسلام وناظر الاوقاف بقبولها وصدور القرار الرسمي بمقتضاها

(٦) كان هذا في شعبان من السنة الماضية وفي الاسبوع الاول من رمضان بلغنا شيخ الاسلام صورة القرار الذي قرره مجلس الوكلاء فاذا فيه ان المدرسة تكون لها لجنة تحت ادارة ومسؤلية شيخ الاسلام ، ولم يطرق سمع أحد من أعضاء الجمعية هذا الرأي الا في أوائل رمضان وهو الشهر المتمم للسنة من سعيي للمشروع هناك

(٧) لم أكن أنا الذي اعترضت وحدي على هذه الفقرة من القرار بل اجتمعت جمعية العلم والارشاد بدار الفنون بعد ظهر يوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ١٣٢٨ وقررت باتفاق الآراء الاعتراض على قرار مجلس الوكلاء وبلغوا شيخ الاسلام قرارهم بالكتابة الرسمية فقال حفظه الله تعالى ان الاعتراض في محله (حقكز وار) اي معكم الحق ، وانه سيراجع الباب العالي ويقترح تعديل قرار مجلس الوكلاء وجعل مدرسة (دار العلم والارشاد) خاصة بالجمعية التي ألفت لاجلها . وكذلك قال ناظر المعارف ووعد . وقال لي احمد نعيم بك بابان العضو في مجلس المعارف وفي مجلس إدارة الجمعية اظن ان الناظر كتب بالفعل الى الباب العالي يقترح تعديل القرار

**

هذا نبأ وجيز من تاريخ المسألة وهو يدحض جميع تلك « الاقاويل » و« الاشاعات » التي بني عليها كلامه كاتب تلك المقالة في جريدة العلم ومنه يعلم كل من لمسكة من الاستقلال في الفهم والرأي انه لامجال للظنون والاراجيف في هذا المشروع العظيم ولا في سعي هذا العاجز الضعيف اليه ، وهل يعقل أن أترك عملي الكثير بمصر وأقيم سنة كاملة في الآستانة وأخسر من المال والوقت ما لا غنى لي عنه الا لشدة اخلاصي في خدمة ديني ودولتي كما سبق لي منذ قدرت على خدمتها

اما ما قيل « ان صدقا وان كذبا » من افراطي في الاشتغال بالمسألة العربية

فليعلم ذلك الكاتب انه من الكذب والبهتان وهو أغرب من اتهام الحزب الوطني بخدمة الانكليز في المسألة المصرية وتمهيده السبيل لامتلاكهم مصر . وذلك ان كتاباتي في محاربة العصبية الجنسية في الاسلام وفي اخوة المسلمين العامة وفي التأليف بين العرب والترك خاصة منبثة في ثلاثة عشر مجلدا ضخما من المنار وفي أربعة مجلدات من التفسير ولا أطيل في هذه المسألة البديهية فانما غرضي في هذا المقال بيان ما لا بد منه من أمر مشروع الارشاد في الآستانة العلية ليعلم انه لا مجال للاشتباه فيه وأن ما تقرر هنالك لا يغني عن انشاء مدرسة للدعوة الى الاسلام هنا

وسأبين في مقال آخر جوهر المشروع المتفق على إنشائه هنا وانه لامجال فيه ايضا للاراجيف والظنون وانه لايعارضه ولا يناهضه الا عدو للاسلام والمسلمين، او حاسد للعاملين ، فاصبر ان الله مع الصابرين

وما سكتنا عن بيان المشروع في الجرائد لانه سري أو لان فيه شيئا سريا وانما هو في طور التكوين ، فمتى تم تكوينه بيناه للناس أجمعين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ،

المقالة الثانية

وهي المقالة التي أرسلتها الى الجرائد في بيان المشروع ووجه الحاجةاليه برأي الجماعة التي تسعى معي في تنفيذه

﴿ مشروع الدعوة والارشاد في مصر ﴾

(٤ : ١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(١٦ : ١٢٥) أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

الدعوة الى الاسلام فريضة اذا تركها المسلمون يكونون كلهم عصاة لله تعالى مستحقين لعذابه واذا قام بها بعضهم سقط الحرج عن الباقين

والدفاع عن الاسلام عند ظهور الشبه وإلقاء الشكوك في عقائده وأصوله فرض أيضا فاذا سكتوا عنه حيث يظهر كانوا عصاة لله تعالى مستحقين لعذابه واذا قام به بعضهم وحصلت بهم الكفاية سقط الاثم عن الباقين

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الحاجة من فرائض الكفاية أيضا فاذا سكت المسلمون عنه حيث يترك المعروف من الفرائض والسنن ويظهر المنكر من البدع والمعاصي كان جميع المسلمين هناك آثمين مستحقين لعذاب الدنيا بذهاب عزهم ومجدهم ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ، واذا قام به من تحصل بهم الكفاية سقط الحرج عن الباقين

هذه مسائل مجملة مجمع عليها بين المسلمين الذين يعتد باسلامهم ولها تفصيل وجزئيات معروفة في مواضعها من كتب الدين بشروطها وأدلتها

وقد اهملت هذه الفرائض في زماننا هذا إهمالا لم يسبق له نظير كان الحاجة اليها قد اشتدت اشتدادا لم يسبق له نظير في تاريخ الاسلام

فشا الجهل بين المسلمين وكثرت فيهم البدع والخرافات وقل الوعاظ والمعلمون الذين يتصدون لارشاد العامة أو فقدوا (اللهم الا الدجالين المحتالين على التجارة بدينهم) وانبثت دعاة النصرانية في جميع شعوبهم يشككونهم في دين الاسلام ويطعنون في كتابه المنزل ، وفي نبيه المرسل ، ويبثون مطاعنهم بالخطب في المحافل العامة ، والتعليم في المدارس الخاصة ، والوعظ في الملاجئ والمستشفيات ، وبكتب ورسائل يطبعونها وينشرونها في الناس ، وأكثر المسلمين عوام أميون لا يميزون

بين الحق والباطل ، ولا بين الصادق والكاذب ، مايعزى الى دينهم والى علمائهم ، ووراء ذلك أموال تبذل للمرتدين ، تغر الطامعين الجاهلين

فصار من الواجب المحتم عليهم في كل البلادان يقاوموا هذه الشكوك والشبهات دفاعا عن دينهم، وأن لا يكتفوا بالدفاع كما هو شأن الضعيف بل يزيدوا عليه تعليم عامة المسلمين حقيقة دينهم ، ويدعوا غير المسلمين ولا سيما الوثنيين ، الى هذا الدين القويم ، دين العقل والفطرة ، المصدق لجميع الرسل ، الجامع بين مصالح الروح والجسد ، المؤدي الى سعادة الدنيا والآخرة

يجب ان تقاوم هذه القوة المهاجمة لهم بمثلها وأنى لهم مع هذا التخاذل والتواكل والتحاسد والتباغض أن يأتوا بمثلها

ان لكل مذهب من مذاهب النصرانية جمعيات دينية غنية بالهبات والتبرعات ، ولهذه الجمعيات فروع كل فرع منها موجه لتنصير شعب من الشعوب - فمنهم الموجهون لتنصير العرب يتعلمون العربية ويتقنونها أكثر من أهلها ويؤلفون الكتب بها ويعلمونها في مدارسهم وهم منبثون في البلاد العربية الآسيوية والافريقية، ومنهم الموجهون لتنصير الفرس والموجهون لتنصير الترك والموجهون لتنصير الهنود ولتنصير الجاويين الخ

يشعر المسلمون في مصر بالألم والامتعاض عندما يرون جريدة من جرائد هؤلاء الدعاة أو كتابا من كتبهم أو رسالة من رسائلهم تطعن في دينهم، يتألمون لانهم يعدون هذا إهانة لهم وقلما يخطر في بال أحد منهم ان بعض المسلمين ينخدع بها فيشك في دينه أو يخرج منه، لأن ضروريات الاسلام معروفة هنا بين العامة في الجملة ومعرفتها كافية لرفض كل ما يخالفها والاعراض عنه، ويزيدهم قلة مبالاة ما يرونه من المطاعن الجديرة بالسخرية كالكتاب الذي نشرته المكتبة الانكليزية بمصر لقسيس انكليزي ذكر فيه سورة زعم أنها كانت سقطت من القرآن أو كتمت ، وما تلك السورة بسورة وانما هي كلام ركيك تتبرأ منه الفصاحة والبلاغة بل اللغة العربية

الا فاعلموا أيها الاخوة ان هذه الجمعيات قد انتزعت في مصر نفسها أفراداً من المسلمين ونصرتهم ولكنكم لاتشعرون بهم لقلتهم فاذا ترونها تفعل في غير مصر من البلاد التي لايعرف فيها الاسلام كما يعرف بمصر ولا يوجد فيها من يدافع عنه كما يوجد في مصر

جاءني في كتاب من سائح مسلم مشهور بسنغافوره بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣٢٨ مانصه : « اني قد ترددت الى جاوه ومتعلقاتها منذ ثلث قرن وقد تبين لي ان دعاة النصرانية قد اضروا بالاسلام وأهله لتغلب الجهل عليهم لمنع الحكومة الهولندية دخول الدعاة الى الاسلام ، وحجتها انهم ليسوا علماء بل دجاجلة وكل من منعته أو طردته ليس من متخرجي المدارس ، ولقد هالني جدا مارأيته في سياحتي هذه فان الداء قد تمكن وفتك بالاهالي فتكا ذريعا مهولا ، وبالجملة أقول ان المتنصرين سنويا من مسلمي جاوه ومتعلقاتها - هنديندرلند - لا يقلون عن مئة الف إنسان ، واذا دام هذا عادت جاوه اندلسا ثانية (الى ان قال بعد لوم العرب الذين هنالك على سكوتهم عن هذا الامر) ولو وجد عالم له إلمام بفن الدعوة وبعض معرفة بلغة أور باوية وكان ذا عقل واعتدال وساح في هذه النواحي لأوقف هذا التيار الجارف ، فكيف لو وجدت بعثة كالبعثات الاوربية »

ثم جاءني منه كتاب آخر جوابا عن كتاب أرسلته اليه مبشرا إياه بالسعي لانشاء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام ، وصل الي في ١١ المحرم الحال وقد كتب في ٢٤ ذي الحجة الماضي وفيه مانصه :

« أماماذكرتهلكم من فتك دعاة النصرانية بأهل هذه النواحي فصحيح لامرية فيه بل الامر أشد وأكبر ولاسيما في جزائر تيمور وريتو وسليبس وبندقيني وفلفاني ولاقوة الا بالله ، - الى ان قال - اما ماعرفتموه من عدم سريان سموم أولئك الادعياء في الاقطار التي عرفتموها فله أسباب كلها لاتوجد هنا من تصلب الاهالي ووجود شيء من العصبية وقليل من العلماء وبصيص من نور التمدن وكثرة قراء المجلات ونحو ذلك

« ولو عرفتم ماعرفته عن حال من بهذه الجهات لعجبتم من بقاء عشرات الملايين على الاسلام مع ماهم فيه من الجهل وما يعرض عليهم من الاعانات ان تنصروا

« وأسأل الله ان يمدكم بعونه وتوفيقه ليتم لكم إقامة جمعية ـ الدعوة والارشاد ـ ويطيل عمركم حتى تروا ثمرتها ونفعها للاسلام وأهله ، وأرى ان لو كانتم أهل الهند ولاسيما رؤساء ندوة العلماء يمدوا لكم يد المعاونة لكان حسنا » اه

لا يوجد قطر من الاقطار الاسلامية الا وعنده من أبناء هؤلاء الدعاة في بلاده ما يحرك غيرته الدينية ويذكره بما يجب عليه لدينه من القيام بمثل ذلك، ولكن المسلمين أصيبوا بأمراض اجتماعية حتى صاروا على شدة تمسكهم بدينهم وغيرتهم عليه أبعد أهل الملل عن التعاون والاجتماع لخدمته ، واذا قام فيهم من يريد خدمة الاسلام لا يلقى الخاذلين والمقاومين له الا من المسلمين إما من باب السياسة وفتنها وإما من باب الحسد، وهم يتهمون غيرهم ولاسيما الاوربيين بالمقاومة التي كفوهم أمرها والصديق الجاهل أضر من العدو العاقل

ولكن حوادث الزمان وأحداثه قد نبهت المسلمين في جميع أقطار الارض وحفزت هممهم الى التعاون على إحياء دعوة الاسلام والدفاع عنه وارشاد عامة أهله الى ما يجب عليهم في هذا العصر من الاستمساك بآدابه وأعماله ومباراة الامم الاخرى في العلم والمدنية مع الحكمة والمودة والسلام العام بين اهل الملل

قد قطع الاوربيون حجتنا بمثل ما نقله السائح عن حكومة هولنده في جاوه وما قاله لورد كرومر في بعض تقاريره عن دعاة النصرانية في السودان(* فلم يبق لأحد منا حجة في تعصب الاوربيين ، وأما من يخافون من حسد جهلة المسلمين والمارقين منهم فليعلموا أن هؤلاء لا قوة لهم الا بالأراجيف وسفه القول وليس

---

*) جاء في الفصل الذى عقده اللورد في تقريره عن السودان سنة ١٩٠٤ انه كتب الى جمعية التبشير للكنيسة الانكليزية كتاباً يدعوها فيه الى التبشير في أقاليم السودان الجنوبية ويخبرها أنه خصص لها قسم كبير من تلك البلاد في الوقت الحاضر ـ كما خصصت أقسام أخرى للمبشرين النمساويين والامريكيين . وقال انه ذكر في كتابه الى تلك الجمعية الجملة الآتية التي أوردها افادة للقراء من المسلمين وهي

« لم يطلب أحد حتى الآن رخصة لانشاء مدراس في جنوب السودان على نفقته تعلم فيها فرائض دين الاسلام ولو طلب أحد ذلك لحل طلبه محل القبول . أقول ذلك اظهاراً لخطة الحكومة ودفعا لكل وهم فان غرض الحكومة التعليم والتهذيب لا غير فعلى الذين يتبرعون للدخول في هذا العمل على نفقة الجميات أو الافراد أن يختنعوا من مقاصد الحكومة وينشروا معها تعاليمهم الدينية »

هذا بعذر شرعي يسقط هذه الفريضة بل الفرائض التي بيناها في صدر المقال

هذا العمل لا يمكن أن تقوم به الحكومات لما يحدث فيه حينئذ من فتن السياسة ولأن الحكومات لاتربي أرواحا بل عمالا، ولا الأفراد لضعفهم، والشرع قد أوجب علينا أن نقوم به مجتمعين بقوله « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » الآية ولم يوجد في دين من الأديان التصريح بمثل هذا في افتراض الاجتماع لهذا العمل ، وما يعضده في القرآن الحكيم من الأمر بالتعاون والاعتصام ، وقد دلت التجارب على ذلك في غيرنا من الأمم ، فلهذه الاوامر الدينية والأسباب الاجتماعية استخار الله جماعة من أهل الغيرة من المسلمين المقيمين بمصر وشرعوا في التوسل الى انشاء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام والمرشدين للمسلمين و إقامة تلك الفرائض وسيعلنون الدعوة الى التعاون على ذلك عن قريب

مدرسة الدعوة والارشاد

نبين للناس أهم ما تقرر بين الجماعة المشتغلة بتأسيس هذه المدرسة بادئ بدء الى أن يصدقوا على قانونها فننشره

(١) يختار طلاب هذه المدرسة من طلاب العلم الصالحين من مسلمي الاقطار ويفضل الذين هم أشد حاجة إلى العلم على غيرهم كأهل جاوه والصين وما عدا القسم الشمالي من افريقية

(٢) المدرسة تكفل لهم جميع ما يحتاجون اليه من الغذاء والمنام والكتب

(٣) يعتني بتربيتهم على آداب الاسلام وأخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من ثبت عليه الكذب أو إظهار العصبية الجنسية أو المذهبية أو ارتكاب شيء من المعاصي ، وعلى قيام الليل وصيام أيام من كل شهر وعلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن مع التدبر

(٤) يعلمون كل ما يحتاج اليه الدعاة من العلوم الدينية كالعقائد والتفسير والحديث والأحكام على الوجه المؤدي الى القدرة على إقامة الحجة ودحض الشبهة وما يحتاجون إليه من العلوم الرياضية والكونية واللغات لأجل ذلك

(٥) لا تشتغل المدرسة ولا الجماعة المديرة لها بالسياسة المصرية ولا العثمانية ولا سياسة الدول الأجنبية مطلقا

(٦) يرسل الدعاة والمرشدون الذين يتخرجون في المدرسة الى أشد البلاد الاسلامية حاجة اليهم كجاوه والصين ، ثم الى الشعوب الوثنية ، ثم الى أمريكة وأوربة من البلاد الكتابية ، ولا يرسل أحد منهم الى الولايات العثمانية لما يترتب على ذلك من اعتراض غير المسلمين وتهويشهم على الدولة وان كان لكل مذهب من مذاهبهم دعاة في تلك الولايات وللعلم بأنه سيوجد في الاستانة مدرسة لاجل تخريج المرشدين لتلك الولايات دون الدعاة الى الاسلام

(٧) سيبدأ المؤسسون بجمع الاعانات للقيام بهذا العمل ثم يفتحون باب الاشتراك الدائم لاجل استمراره ويرجون نجاح السعي بما يجود به أهل الخير والبر من الاشتراكات والتبرعات والهدايا والوصايا والاوقاف التي يرجى أن توقف على هذا العمل

(٨) نشرت هذا البيان بعد استشارة المتعاونين على تنفيذ هذا المشروع واستحسانهم ، وسينشر قانون المشروع الاساسي بعد التصديق عليه مذيلا بأسماء المؤسسين   محمد رشيد رضا

* * *

اصرار جريدة العلم على الارجاف

أرسلنا المقالة الاولى من هاتين المقالتين الى جريدة العلم وعزمنا على أن لا نرسلها الى غيرها اذا هي نشرتها لانها رد عليها أرسلناها مع صديق لنا ولزعماء الحزب الوطني فوعد الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير العلم في يوم الاثنين ١٥ المحرم بنشرها والتعقيب عليها ثم اكد الوعد يوم الثلاثاء واعتذر عن التأخير ولكن بلغنا انه حصل خلاف بينه وبين محمد بك فريد رئيس الحزب الوطني في أمر نشرها فكان رأي رئيس الحزب أن لا تنشر لأنها تفيد المشروع قوة والمراد سحقه قبل أن يقوى وكان رأي رئيس التحرير أن تنشر ويعقب عليها بشدة

تقوي الشبهة في المشروع وتزيده وهنا على وهن ، وقد انتظرت الى يوم الاربعاء فلما رأيت جريدة العلم خلوا منها أرسلت ما مع المقالة الثانية الى جميع الجرائد اليومية العربية في مصر والاسكندرية في مساء هذا اليوم

المقالة الثانية للعلم

وفي صبيحة يوم الخميس ١٨ المحرم صدر العلم وفيه المقالة، وفي فاتحة باب الحوادث والاخبار منه ثلاثة أعمدة في سبي وشتمي و وصفي بالعجز والضعف مع الارجاف والايهام بقوله « لو لن العلم شاء لبسط للناس كيف ذهب صاحب المشروع الذي هو « أقدس وأفضل عمل ديني » الى السير غورست ليعرض عليه مشروعه فيحظى برضاه وينال إسعاده ولو شاء العلم لبين للناس ما في ذلك من المخازي والمآرب المكنونة »

لو كان في هذه الشتائم والاراجيف شبهة على الموضوع لنشرناها كما نشرنا مقالة العلم الاولى على وهنها وضعفها ولكن فيها أمرين يحسن ذكرهما والجواب عنهما . أحدهما الارجاف بعبارته التي نقلناها آنفا ، والثاني تخطئة العلم إياي بقولي انني كنت اتوقع مقاومة بعض رجال الحزب الوطني في هذا المشروع كما كنت أحذر مقاومتهم إياي في طلب الدستور من السلطان عبد الحميد

أما الاول فأقول فيه انني لم أذهب الى السير غورست لأحظى برضاه وأنال إسعاده ومعونته على المشروع كما أرجف الكاتب، وأصرح بأعلى صوتي ان غاية ماأرجوه وأتمناه من الانكليز ان لايقاوموا المشروع في مصر والهند لانني أرجو من مساعدة المسلمين في هذين القطرين مالا أرجوه من غيرهما فاذا قاومه الانكليز فيهما فلاشك في انه يفوتنا من المساعدة مالاغنى لنا عنه . على انه لايوجد عاقل في الدنيا يقول ان طلب المساعدة على عمل نافع ممن لانفع له فيه نفسه ولا لقومه يخرج ذلك العمل عن وضعه ولا سيما اذا كانت المساعدة المطلوبة سلبية كعدم المقاومة . مثال ذلك الجمعية الخيرية الاسلامية طلبت المساعدة في السنين الخالية من العميد الانكليزي ومن غيره من الاجانب وكانت ولا تزال تأخذ من هؤلاء في كل سنة شيئا من النقود فيا أعلم فهل صارت الجمعية بذلك خادمة للانكليز وضارة بالمسلمين ؟؟ ونحن لانطلب من غورست ولا من غيره من الاجانب ولا غير المسلمين من

الوطنيين مساعدة مالية ولا أدبية وانما نطلب منهم ان لا يكونوا ضارين لنا ولا مقاومين لمشروعنا كما يقاومه بعض المسلمين ولا يعد ان ننال هذه الامنية السلبية منهم فقد قال الاستاذ الامام وحلف على قوله بالله انه لم يقم بمشروع ينفع المسلمين ووجدله مقاوما فيه من الانكليز ولا من القبط ولا من نصارى السوريين ولكنه لقي المقاومة في كل مشروع أراد به خدمة الاسلام من المسلمين أنفسهم . أقول ومن ذلك انهم وشوا بالجمعية الخيرية الى الانكليز بأنها تمد مهدي السودان بالمال ليحارب به مصر والانكليز ، وهاجت جريدة اللواء عليه وعليّ اليهود عند تفسير بعض الآيات المتعلقة بهم في كتاب الله عز وجل . . .

إذا أثبتنا لرئيس تحرير العلم ان شيخ الازهر أو بعض أعضاء إدارته زار الوكالة البريطانية ولورد كرومر فهل يعد هذا حجة على كون الازهر صار خادما للانكليز ، وقد علمنا ونحن في الاستانة إن بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي يختلفون إلى بعض السفارات كاختلاف حسين جاهد بك وإسماعيل حقي بك بابان الى سفارة روسية فهل يسمح لنا محرر العلم المنطقي أن نستدل بذلك على خيانة الجمعية للدولة العلية ؟؟

وأما الثاني فسببه ان مدير جريدة اللواء كان مقاوما لي منذ نشأته الاولى وسبب ذلك أني انتقدت عليه عند ظهوره أمراضا فقلت في ص ٦٠٧ من مجلد المنار الثاني ما نصه:

« وقد انتقدنا عليها أمرا ذا بال وهو الارجاف بأن بعض الناس يسعون في إقامة خلافة عربية كأن الخلافة من الهنات الهينات ، تنال بسعي جماعة أو جماعات ، ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الأعلى بأكثر من هذا الارجاف .

« مقام الخلافة اسمى من أن يتطاول اليه أحد وقد سلم السواد الاعظم من المسلمين زمامه لبني عثمان تسليما ، والرابطة بين الترك والعرب هي (كما قال المرحوم كامل بك الكاتب الشهير) موثقة بالاخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وحده ، وان كان أحد يطمع في ذلك فهو الشيطان .

« ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن انه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلان :رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش وأكل السحت أو التحلي بالوسامات والالقاب

الضخمة ، ورجل اتخذه الأجانب آلة لخداع بسطاء المسلمين بإيهامهم أن منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأي أمير أن يناله ولأية جمعية أن تزحزحه عن مكانه ، ليزيلوا هيبته من القلوب ، ويقنعوا نفوس العامة من الاغرار ، بامكان تحويله في وقت من الاوقات ، وبأن المسلمين ليسوا راضين من الخلافة العثمانية جميعا » الخ

هذا ما كتبناه في الانتقاد على اللواء عند ظهوره أي من إحدى عشرة سنة وشهور وانه لم يظهر لنا في كل هذه المدة أن الاجانب اشتغلوا بهذه المسألة ، بل الذي ظهر أن الارجاف والافساد لم يكن الامن الطامعين في دنانير السلطان عبد الحميد وأوسمته ورتبه ، المتوسلين اليها بدعوى الاخلاص له ولدولته ، أو الانتقام ممن يسلطون عليهم عقارب سعايتهم ، ومن يريد بالمسلمين سوءا من الأجانب لا يحتاج الى سعي ولا عمل فحمقى المسلمين يكفونه كل سعي

كبر انتقادنا هذا على جريدة اللواء في ذلك الوقت فصارت كلما سنحت الفرصة تنتقم منا ضروبا من الانتقام حتى انها نشرت في سنة ١٣٢٣ مقالة في العدد الـ ١٧٥٤ ثم بعد أسبوع نشرت مقالة اخرى في ع ١٧٦٢ زعمت انها جاءتها من جاوه تؤيد المقالة الاولى وتستدرك عليها، توهم قراءها بذلك ان في جميع البلاد الاسلامية أفرادا يشايعونها على الطعن فينا ، ولم يخطر لمديرها ولا لمحرريها ولا لمصححيها أن البريد الى جاوه غدوه شهر ورواحه شهر تقريبا فكيف يصدق العارفون بتقويم البلدان من قراء اللواء أن العدد الاول يصل الى جاوه ويكتب الكاتب ما يكتب في استحسان تلك المقالة والاستدراك عليها وتصل رسالته الى مصر وتنشر ويتم ذلك كله في أسبوع واحد ؟؟ وزاد طعنها فينا معاداتها للاستاذ الامام ودفاعنا عنه كما هو مشهور

هذا التحامل علينا من جريدة اللواء الذي استمر من أول انشائه الى سنة ١٣٢٣ التي أردت فيها تنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وتلك التهم التي كانت تشيعه عن مسألة الخلافة العربية لتنتقم بها لدى السلطان عبد الحميد ممن تتهمهم بها، وذلك الاطراء الذي كان يطري به مدير اللواء ذلك السلطان المخرب للمملكة حتى انه

قال مرة مامعناه انه ينبغي لكل مسلم أن يضيف الى الشهادتين بوحدانية الله ورسالة خاتم النبيين شهادة ثالثة بخلافة عبد الحميد — ذلك كله كان هو السبب في حذرنا من مقاومة الحزب الوطني في مشروع الدعوة الى الاسلام وفي مقاومة سياسة عبد الحميد ومطالبته بالشورى والدستور في (جمعية الشورى العثمانية)

ولو شئت ان اشرح هذه المسألة وأنشر ما صار مطويا في صحائف اللواء من مدائح عبد الحميد وتقديسه ومن الارجاف بمسألة الخلافة العربية لاجل التزلف إلى المابين لامكنني ان أكتب في ذلك مؤلفا حافلا ولا سيما إذا اضفت الى ذلك بعض الوقائع كإنكار محمد بك فريد على صاحب المؤيد نشره مقالاتي في إصلاح الدولة العلية منذ ثنتي عشرة سنة لان ذلك يسيء السلطان و ...

ان الذين كنت أحذر مقاومتهم وسميتهم الحزب الوطني هم مدير اللواء و بعض محرريه ومحمد بك فريد و بعض مقلديه ولا أعني أحداغيرهم ممن اتصلوا بهم المطالبة بجلاء الانكليز عن مصر و جعل الحكومة المصرية دستورية ولا يهمهم غير ذلك كالانتقام الشخصي ومقاومة كل مشروع نافع يقوم به غيرهم . ومن العجائب ان تطالبني جريدة العلم بالدليل على ما كان من حذري وتوقعي مقاومة من ذكرت المشروع في نفس العدد ونفس المقالة التي تقاومه هي فيه ، فاذا كان رئيس تحريرها ومن على رأيه من المحررين قد نسوا مانشروه في جريدتهم منذ أقل من أسبوع كما نسي سلفهم الصالح المدة بين تينك المقالتين في اللواء اللتين أشرنا اليهما آنفا فهل نسوا المقالة التي نزهوا فيها أنفسهم عن المقاومة وهي ما أنشئت إلا للمقاومة !!! يقولون الآن ان عندنا « أقاويل » أو « إشاعات » أو شبهات على إن هذا يرادبه غير ظاهره ، وهذا عين ما كنت أحذره منهم من قبل اذ المقاومة لمثل هذا المشروع لا تكون الا بمثل هذه « الاقاويل » والأراجيف « شنشنة أعرفها من اخزم »

على أنني كنت أظن في هذه المرة ان زعماء الحزب الوطني لا يقاومون هذا المشروع لأن لهم في شغل الحزب وقد تكون ومي ما يشغلهم عن انتقام هو في الحقيقة جهاد في غير عدوّ وقد مرت السنين وليس بيني و بينهم ما يسوء ولأن

الشيخ عبد العزيز شاويش هو رئيس تحرير جريدتهم (العلم) وما كنت أظن انه يقدم على الارجاف بهذا المشروع الجليل بناء على الأقاويل والأوهام . فاذا كانوا قاوموا في الحال التي حسن ظني بهم فيها فكيف كان يكون شأنهم في الأيام التي توفرت فيها الدواعي على المقاومة

هذا واني أبرئ كل عضو من أعضاء هذا الحزب عن مشايعة اللذين أو الذين تصدوا للمقاومة الامن كان أمعة لا روية له ولا استقلال ـ وأرجو وقد بينا لهم المشروع ـ أن يثوبوا الى رشدهم ، ويتوبوا الى ربهم ، فان لم يفعلوا اليوم فسيندمون بعد ظهور المشروع للوجود وقيام حزبهم عليهم باللائمة والتفنيد ، وما ذلك من المستعجلين ببعيد

ولا بأس أن نفكه القراء وقد استولى عليهم الحزن من خذلان المسلمين بعضهم لبعض بقول الشيخ عبد العزيز وهو يكتب باسم الجريدة التي هي لسان حزبه « فان كان الذي أغضب الاستاذ نسبتنا تلك الفكرة الى أستاذنا المرحوم الشيخ عبده الذي كان لا يلقبه في حياته الا بأمثال « الاستاذ الحكيم والاستاذ الامام وفيلسوف الاسلام » فليخفف عن نفسه قليلا فانما أول من جاء بهذا الأمر منزل القرآن » اه اقرءوا واسمعوا واضحكوا ! ! ولا تعجبوا من قوله كان يلقبه في حياته وأنتم ترون هذا التلقيب في المنار بعد مماته اكثر ورودا في المنار فمكابرة الحس لا تعد عجيبة من هؤلاء الناس ولكن احمدوا الله معي انصاروا يعترفون بأن الاستاذ الامام أستاذهم فالحمد لله على ذلك بعد ان كان معظم ما نالني من اذاهم سببه دفاع تهمهم عنه رحمه الله تعالى كما تعلمون من مجلدات المنار .

انا لم اقل في ردي عليهم ان الاستاذ الامام لم يفكر في هذا الأمر ولا ذكرته لان الكلام كان مسوقا لبيان ان هذا المشروع ليس جديدا عندي فيصدق انني أريد ان اخدم به الجمعية السياسية التي لم نسمع بخبرها الا من « العلم » ولكنني وانا الذي نشرت مناقب الاستاذ الامام في الشرق والغرب اقول إنني لم اسمع منه رحمه الله تعالى كلمة تدل على انه يريد تأسيس جمعية ومدرسة لهذا المشروع في مصر ولا على انه يتمنى ذلك في الآستانة وانما كان يرجو ان يصلح الازهر

فيكون المسلمين منه كل مايحتاجون اليه في أمر دينهم ومنه الاستعداد للدعوة الى الاسلام ، ولم اسمع منه شيئا في ذلك بعد تركه للازهر ،

واقول إنني لاشك في تفكير كثير من مسلمي الاقطار في هذا المشروع كما فكرت فيه ، وقد اشرت في المقالة الاولى الى تاريخ هذه الفكرة عندي والى بعض ما كتبته من التمهيد لها وانني لم استقص في تلك الاشارات وقد تذكرت الآن حديثا في ذلك دار بيني و بين شيخ الجامع الازهر وذكرته في عدد المنار الذي صدر في شهر المحرم سنة ١٣١٩اي منذ عشر سنوات كاملة ذكرت فيه للشيخ شيئا عن الجمعيات الدينية في فرنسة وثروتها وأعمالها وتوقف حفظ الدين الاسلامي على مثل هذه الجمعيات المالية التي تجمع بين الدين والعلوم الكونية وقلت له هذه العبارة « وان هذا ما يدعو اليه المنار »فليراجع ذلك من شاء في أول ص ١٥٨ من مجلد المنار الرابع



مقالة العلم الثالثة

بعد نشر مقالتنا الثانية في بعض الجرائد اليومية رجعت جريدة العلم عن الارجاف بكون مدرسة الدعوة والارشاد تنشأ لهدم الخلافة العثمانية وتأسيس خلافة انكليزية ونشرت في صدر عددها الذي صدر يوم الاحد ٢١ المحرم المقالة الآتية بنصها وهي

﴿ مدرسة الدعوة والارشاد الاسلامي ﴾

نشرنا في هذا الباب ما نشرنا وكنا نحسب انه غنية لمن كان مخلصا من رجال هذا المشروع ولكننا نجد في كل يوم أفرادا يكثرون من اللغط ويطرحون علينا أسئلة الاستنكار والاستهجان زاعمين أننا أتينا بدعا من الرأي وزورا من القول فلا بد لنا من كلمة ثالثة في الموضوع تزيده إيضاحا وتبيانا

يعلم المفكرون ان أوربا كل يوم ترمينا بتلك التهمة الباطلة تهمة التعصب الديني والجامعة الاسلامية

طالما رمتنا بذلك وكم جنت من وراء هـذه التهمة التي انما تختلقها لتنال بها

مآربها من العالم الاسلامي فتلزمه السكون والسكوت وتقعده عن النشاط والعمل وتفرق بين أجزائه حتى لا يلتئم له شمل ولا يرتق له فتق

طالما رمتنا أوربا بذلك وطالما جنت من وراء هذه التهمة المفتراة . فماذا كنا ندرأ به عن أنفسنا هذه الويلات لا سيما في تلك السنين التي خضدت فيها شوكة الحكومات الاسلامية وأصبح الاسلام وأهله في أيدي الحكومات الصليبية ؟

وهل استطاع المسلمون أن ينجوا من آثار تلك التهم إلا بما كانوا يعلنونه ويشهدون العالم عليه من انهم أهل سلم لكل مسالم وأرباب وفاء لكل معاهد . هل استطاعوا ان يعدوا لأعدائهم مثل ما أعد هؤلاء لهم من مدافع مدمرة وأساطيل مصفحة وكتائب سابغة الدروع تامة السلاح ؟ هل استطاعوا أن ينافسوهم في ميادين الاقتصاد فيستغنوا عن مالهم أو يزاحموهم في أسواق التجارة فيكفوا الحاجة اليهم ؟

اذًا فماذا يبتغي أصحاب هذه المدرسة ؟ قد يكونون — كما قلنا في أول كلمة لنا — حسان القصد طاهري الضمير ولكن الى من يعدون خريجي مدرستهم ؟ ألى أهل تونس والجزائر والمستعمرات الاسلامية الفرنسية وهي تلك الدولة التي لا تغفل عن مصالحها ولا تكاد تبيح لاجنبي عنها التوغل في أعماق مستعمراتها أو مخالطة أحد من رعاياها ؟ أم الى مسلمي جاوه وتلك حكومة هولانده قد أحاطتهم بنطاق من يقظتها وحالت بينهم وبين العلم والنور والحرية والعوالم الاخرى فهي لا تسمح لاحد منهم بمقابلة أحد ولا معاشرته الا اذا كان هناك من عيونها من لا يفتر عن مراقبته ولا تأخذه غفوة عن سكونه أو حركته

لعلهم يريدون أن يبعثوا بهم الى ارجاء السودان ليدخلوا أهله في دين الاسلام. اذًا فهل أمنوا جانب انجلترا ونسوا مآربها هنالك ؟ الا والله لتعتبرن أولئك الدعاة للاسلام أهل فتنة ودعاة ثورة ولتقيمن لهم المحاكم المخصوصة ولتنصبن لهم المشانق ولتبطشن بهم بطش الجبارين . فهل أعددتم لوقايتهم ما أعدت دول الصليب لمبشريها وحماة دينها من البأس والقوى وهل سلكتم ما سلكه أولئك أيام كانوا جهالا ضعفاء من الدعوة من غير جلبة ولا ضوضاء

أظننتم ان مريدي الشر للاسلام في غفلة عنا أو انهم يسرهم أن تقوم على

وجه البسيطة مدرسة كهذه على النحو الذي يقوله أصحاب ابتداعها ؟

أأمنوا اتحاد دول الصليب علينا اذا علموا انا نسعى لنشر كلمة الاسلام وهل غرهم ما يرونه من احدى الدول العظمى التي تظهر الميل والعطف على العالم الاسلامي وكيف يغتر بها من يستقرئ خطواتها ويدرس اضطرابها وتذبذبها وهي تلك التي لاتكاد تستقر على حال واحدة عدة أيام فكم من عهد لم توف به وكم من أمة خدعت بمعسول وعودها واطمأنت لزخارف أقوالها ثم قطعت أناملها ندما على مافرط منها

اعقلوا أيها القوم وتدبروا الامر قبل أن تجنوا في مغبته الخيبة وتعجلوا للمسلمين مالاقبل لهم به . واذا زعمتم انكم تريدون دعوة غير المسلمين كما صرحتم بذلك فخير لكم ان تبدأوا بالجهال من بني دينكم وكثير ماهم ثم اذا وجدتم من أوقاتكم ومجهوداتكم متسعا فتنوا بمن تشاءون من غيرهم . ولقد أسلفنا لكم أنكم اذا ربحتم المسلمين وأصلحتموهم واكتفيتم بهم فقد ربحتم كثيرا وخسرتم قليلا

انا أيها القوم لسنا أعداء الاصلاح ولا محاربي العاملين في سبيل الاصلاح ولكنا قد أدركنا مغبة مساعيكم فرويناالذي رويناه ولم ندع اعتقاد شيء منه وانما بسطنا لكم القول وشرحنا لكم وعورة الطريق التي تسلكونها وأرشدنا كم الى أن أمامكم الازهر الذي هو المدرسة الاسلامية العظمى فادخلوا فيه ماشئتم من مواد الدراسة واعدوا طائفة منهم للوعظ والارشاد وهداية العامة من المسلمين وغيرهم الى الحق والصواب من قواعد الدين الحنيف وأركانه ولا تستمسكوا بالالقاب والاسماء ولا تقيموا معهدا خاصا لما أردتم فقد تمتم عن قوم لاينامون وتجاهلتم أمر أعدائنا الذين لا يغفلون واذا لم يكن لكم بد من اقامة هذه المدرسة فلا تدعوها بما يجلب عليها وعلى الاسلام الشقاء من الاسماء

هذه كلمتنا للعقلاء المفكرين من المشتغلين بهذا المشروع . اما النفر المتعصب لرأيه المتنطع في قوله فما كان لنا أن نعنيه برد ولا نصيحة فليأت العقلاء المخلصون من الأعمال ما تحتمله الاحوال الحاضرة ولا تنافره الظروف السياسية وليقيموا ما شاءوا من المدارس على شريطة ألا يجهروا بأسمائها الضخمة وعنوانها الفخمة

عليها شيئا من البلاء والشقاء وليتقوا الله في العالم الاسلامي فلا يجلبوا عليهم بتسرعهم وعدم تحوطهم أكثر مما نزل بهم. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

* * *

الرد على هذه المقالة

بينت لنا هذه المقالة التي نشرت يوم الاحد ٢١ المحرم عدة أمور نذكر هاهم التعقيب عليها

(١) ان أصحاب جريدة العلم يجدون في كل يوم أفرادًا يكثرون اللغط ويطرحون عليهم أسئلة الانكار والاستهجان ويرمونهم بالبدع من الرأي والزور من القول. كل هذا صرحت به العلم، وما سمعنا من أصحاب جريدة الحزب الوطني قبل مثل هذا الاعتراف بانكار الناس عليهم كل يوم شيئا من الاشياء بل ما رأينا المسلمين بمصر اهتموا بمواجهة فرد من الافراد فضلا عن حزب من الاحزاب بالانكار والاستهجان وناهيك استنكار واستهجان مايكتب في جريدة العلم التي يتحامى الناس الجهور بالإنكار عليها تكرما لانفسهم وصونا لها من هجو جريدة تكتب بمداد من السم، بل العادة الغالبة ان ينتقد الناس المخطيء في غيبته ويسكتون في وجهه ولو علم رئيس تحرير العلم كل مايقول الناس فيه لتبين له أن مقامهم يصل في مصر الى درجة يقبل معها كلامه في تقبيح أفضل وأقدس خدمة يخدم بها الاسلام لاعند الحزب الوطني ولاعند الجهور وانما يمكن أن يقبله بعض الملحدين المارقين من الاسلام دينا وجنسية . ويغلب على ظني ان في المنكرين على الشيخ عبد العزيز شاويش بعض اعضاء الحزب الوطني ولولا ذلك لما غير رأيه وناقض نفسه فيما كتبه أولا وثانيا

(٢) تقول جريدة العلم اليوم ان أوربا تتهم المسلمين بالتعصب الديني وما استطاعوا أن ينجوا من آثار تهمتها بما يعلنونه من سلمهم ومسالمتهم ، وان هذه الخدمة تزيد في اتهامهم وعداوتهم المسلمين فلا ينبغي أن تكون . ونجيبها عن ذلك بأنه اذا كانت أوربا لا يرضيها منا الا ترك شعائر الاسلام وفرائضه أو حتى تتبع ملتهم أفتأمرنا جريدة العلم بأن نترك فرائض ديننا لأجل ارضاء أوربا أو دفع

تهمتها . قد بينا في مقالتنا الثانية التي أرسلناها الى العلم كغيره من الجرائد أن هذا المشروع قيام بثلاث فرائض اسلامية مجمع عليها فكيف ينهانا أن نؤدي فرائض ديننا خوفا من اتهام أوربة إيانا بالتعصب وهو تحصيل حاصل ؟؟

(٣) تسألنا جريدة العلم في معرض الإنكار الى أين نرسل خريجي هذه المدرسة وفرنسة وهولندة وانكلترة لنا بالمرصاد في مستعمراتهن وفي السودان وأقسم الكاتب على أن الاخيرة منهن لا بد أن تقيم لهم في السودان المحاكم المخصوصة وتنصب لهم المشانق وتبطش بهم بطش الجبارين ، يريد الكاتب أن يوهم قراءه أن الرحمة والشفقة الفائضتين من قلبه الشريف على الذين سيتخرجون في مدرسة الدعوة والارشاد ويرسلون الى السودان هما اللتان حملتاه على هذا الانكار الشديد لاستعداد المسلمين لأداء هذه الفرائض الدينية فأبرز إنكاره أولا بزعم ان المراد من هؤلاء الدعاة اسقاط دولة الخلافة العثمانية وإنشاء خلافة انكليزية وآخرا بأن الانكليز سيبطشون بهم بطش الجبارين ، ويجعلوهم عبرة للمعتبرين ، ويكون مؤسسو المدرسة هم السبب في ظلم هؤلاء المساكين !!!

ونجيبه (أولا) بأن الناصح الغيور على المسلمين ، الذي لا يعادي الاصلاح والمصلحين ، لا يستحل مثل البهتان الذي أرجف به العلم في المسألة من قبل ، (وثانيا) بأن الخوف من ايذاء المسلم في المستقبل في سبيل الله لا يبيح له ترك الفرائض والاستعداد لنشر الدعوة ، (وثالثا) بأن المتعاونين على هذا المشروع ومن يربونهم ويعلمونهم ليسوا ممن قال الله فيهم (٢٩ : ١٠ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فهل يرضي أصحاب العلم أن يكونوا منهم

(ورابعا) ان لورد كرومر قال في تقريره الرسمي عن السودان ان الحكومة هناك تسمح للمسلمين بنشر الاسلام وتعليمه فاذا أرسلنا الى هنالك من يطلب منها الاذن له بهذا ولم تأذن له فانه يمكنه ان يرجع الى مصر بحجة ناهضة لجريدة العلم أو ما يخلفها تجاهد بها الانكليز ولا يعرض نفسه لبطش الانكليز

(وخامسا) ان السبب في اتهام أوربا إيانا بالتعصب الديني هو السياسة في الغالب وقد امتاز مصطفى كامل باشا وأتباعه في الحزب الوطني بدعوة الوطنية على وجه نافي

الوحدة الاسلامية ونرى أوربة وغير أهل أوربة كالقبط يتهمون هذا الحزب وجرائده بالتعصب الديني ولم نرهم يتهمون مجلة المنار بذلك وهي دينية تقيم حجج الاسلام وترد شبهات النصارى وغيرهم وتقيم الحجة عليهم . لانها لاتفعل ذلك لاجل السياسة ، وقد قامت جمعية ندوة العلماء في الهند بعمل قريب من العمل الذي شرعنا فيه أو مثله ولم تلق من الانكليز بطش الجبارين بل أعطوها قطعة أرض لتبني مدرستها فيها ،وغاية مانرجو نحن بعملنا الديني العلمي المدني الخالي من كل شائبة سياسية ان لا تعرقله وتضطهده كل حكومات أوربة في مستعمراتها عملا بحرية الدين وقد صرحت هولندة بأنها تأذن لعلماء المسلمين بالارشاد في جاوه ان وجدوا ولا تمنع الا مشايخ الطرق الدجالين ، وسيكون المتخرجون في مدرستنا أبعد المسلمين عن أهواء السياسة ومقاومة الحكومات

(وسادسا) اذا منعنا الاوربيون من مستعمراتهم الاسلامية في افريقية وجزائر المحيط والهند فأمامنا اليابان والصين فإذا تيسر لنا ترقية مسلمي الصين بالارشاد ، وأهل اليابان بالدعوة الى الاسلام ، نكون قد عملنا أفضل الاعمال

(وسابعا) اذا كان ذلك الكاتب في العلم يخاف على هذا المشروع من اضطهاد دول الصليب كما ادعى فلماذا يختار إلصاقه بمشيخة الاسلام في الآستانة ويقول إن ذلك محله الطبيعي ؟ أيجهل انه لايقيم قيامة أوربة عليه شيء كإلصاقه بالدولة العلية ، ان كان يجهل هذا فساسة الآستانة لايجهلونه ، وليعلم ان هذا هو السبب الذي حملني على إيذان شيخ الاسلام وغيره من رجال الآستانة بأنني لاأشتغل بالعمل هناك الا اذا كان بعيدا عن السياسة ظاهرا و باطنا ولم يكن له صبغة رسمية

(٤) تسألنا جريدة العلم هل سلكنا ما سلكه أهل الصليب أيام كانوا مثلنا اليوم جهلاء ضعفاء ، من الدعوة من غير جلبة ولاضوضاء ؟ ونجيبها نعم أننا أردنا ذلك ولكن مصاب المسلمين بوجود مثل ذلك الكاتب محررا أو رئيس تحرير في جريدة تنتمي الى حزب يعتقد انه يؤيدها ولو بالباطل هو الذي حال بيننا و بين ما نشتهي من السكون والسكوت ، فماذا نفعل اذا كان الذي أثار بيننا الجلبة

والضوضاء هو أقدر أهل بلادنا على الجلبة والضوضاء لأنه هجيراه في حياته ، ومورد رزقه وعنوان جاهه ،

(٥) ينصح لنا ذلك الكاتب المفتات بأن نبدأ بالجهال من أبناء ديننا فنعلمهم ونرشدهم ثم نثني بغيرهم ان وجدنا من أوقاتنا ومجهوداتنا متسعا ، كتب هذا بعد أن قرأ في مقالتنا الثانية التي أرسلناها اليه مع كتاب خاص فلم ينشرها و بعد أن نشرها المؤيد ونشر موضوع المدرسة منها غير المؤيد كالأخبار والأهالي وعلم الالوف من الناس كما علم هوان هذا هو غرضنا ، وليس هذا ببدع من إرشاد جريدة العلم فقد كانت منذ عهد قريب تقترح من إصلاح قانون الأزهر ما هو منصوص في ذلك القانون لأن رئيس تحريرهذه الجريدة جعل نفسه بغروره مرشدا للحكومة والامة وإن كان ما يأمر به تارة من تحصيل الحاصل وتارة من الممتنع شرعا أوعقلا أو قانونا أو عادة ، وماذا يهمه ان تمتع بلذة الامر والنهي ، ان يكون ارشاده من العبث واللغو

(٦) أمرنا رئيس تحرير العلم عملا بشنشنته بأن ندخل ما نشاء في مواد الدراسة في الازهر ونمد طائفة من طلابه للارشاد والدعوة ونهانا ان نقيم معهدا خاصا لما أردناه !! وهو يجهل أولا يجهل (الله أعلم) أن امتثال أمره ليس في أيدينا ولا مما يدخل في استطاعتنا . ان الداعي الى هذا المشروع هو العاجز الضعيف صاحب المنار وقد عيره هو بالضعف والعجز في جريدة العلم مرارا وما فعل ذلك إلا إعجابا وغرورا بحوله وقوته واعتزازه بحزبه ، ولكنه نسي مع ذلك انه هو قد عجز على قوته وعظمته عن تغيير شيء من مواد قانون الدراسة في الازهر فكيف يقدر على ذلك هذا العاجز الضعيف الذي لاحزب له ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، واذا كان أمره لايطاع فكذلك نهيه فليترك هذه الرياسة العامة ، في هذه المسألة الخاصة ، أو ليكتف بالإرجاف والتشهير ،ان كان مصرا على مقاومة هذا العمل الشريف

(٧) ناقض العلم نفسه كعادته فأذن في آخر مقالته للعقلاء المخلصين منا بالأعمال التي تحتملها السياسة وان يقيموا ما شاؤا من المدارس « على شريطة أن لايجروا

شيئا بأسمائها الضخمة وعناوينها الفخمة عليها من البلاء والشقاء » ونهاهم « أن يجلبو على العالم الاسلامي بتسرعهم وعدم تحوطهم اكثر مما نزل به » !!! وغرضه من هذا الأمر إن أطيع فيه أن يتلذذ بنفوذه في إبطال المشروع أو عنوانه الدال عليه ،

ومارأينا في غرائب هذا الكاتب و بعده عن المعقول أبعد عن الصواب من توهمه أو إيهامه ان البلاء والشقاء سينزلان بالعالم الاسلامي بسبب كلمة الدعوة والارشاد وان الاوربيين مثله يحفلون بالالفاظ دون المعاني والحقائق . وأما المشتغلون بتنفيذ هذا المشروع فيريدون أن يكون ظاهرهم كباطنهم وقولهم كفعلهم و يعلمون أنهم لا يقدرون على غش الاوربيين وخداعهم إن أرادوا ذلك — وهم لا يريدونه كغيرهم — ولذلك يصرحون بأنهم يربون طائفة من الطلاب و يعلمونهم مايقدرون به على الدعوة والارشاد والتعلم ، و يرسلونهم إلى أحوج البلاد الاسلامية اليهم ثم الى البلاد الوثنية ثم الى غيرها كما بينا في المقالة الثانية من تقديم الاهم على المهم بحسب الاستطاعة وسيسيرون على سنة الله تعالى في أمثالهم من المصلحين ، وقد وعد الله تعالى باظهار هذا الدين كله ولو كره الكافرون ، وكان وعده مفعولا في كل حين

وقصارى الكلام ان جريدة العلم قد خرجت عن منهج الرشد ، وأسرفت في البعد عن الحق ، بالغلو في مقاومة هذا المشروع المفروض ، بما لا يقبله الا من اتبع كل ناعق فيما يقول ، لحرمانه من حرية الفكر ، وعطله من حلية استقلال الرأي ، فباجمته أولا بالإرجاف السياسي وإيهام الناس انه سيكون من القوة ، بحيث يسقط دولة للمسلمين ويؤسس دولة للانكليز ، ثم بايهامهم بعد ثلاثة أيام انه من الضعف بحيث يجزم الكاتب و يحلف بأن الإنكليز سوف يسومون أهله سوء العذاب !!! حار الكاتب في هذا الامر وحاص ، وناقض نفسه عدة مرات ، ثم تنصل من عداوة المشروع ومقاومة أهله وادعى انه ناصح ولو كان ناصحا لنشر مقالتنا الثانية وجعل النصيحة بيننا وبينه ، على اننا ننصح له كما نصح لنا بأن يحاسب نفسه فيما يكتب بينه و بين الله ولا يقفو ما ليس له به علم ، عملا بكتاب الله عز وجل ، وليقل خيرا أو ليصمت ، عملا بهدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وان يرجع إلى الحق فذلك خير من الإصرار على الباطل ، كما هي سنة

السلف الصالح ، فان قبل النصيحة عاد من التشنيع والتشهير والتشكيك والتهديد والوعيد الى بيان محاسن المشروع والحث عليه والترغيب فيه ويكون عمل بحديث « وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » (رواه أحمد والترمذي عن أبي ذر ومعاذ) وحينئذ يجعل النصيحة بينه وبين القائمين باحياء هذه الفرائض التي يرجى بها تجديد دعوة الاسلام ان شاء الله تعالى كما هو شأن المخلصين في نصحهم الذين لا يقصدون به الرياء والدعوى ، وان أخذته العزة بالاثم ولم يعمل بهذه النصيحة فحسبه غروره وتغريره ، وعاقبة عدوانه ومصيره ، وحسبنا الله فهو أغير على دينه من جميع عبيده المؤمنين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين

انذار للمرجفين

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في مصر بمشروع الدعوة والارشاد لنكشفن الستار عن السر الخفي الذي آلى على نفسه ذلك الرئيس في الآستانة أن يحارب به الاسلام وعهد باسم جمعيته السرية الى مندوبه في مصر ان ينصره فيه ظالما ومظلوما باسم الانتصار للدولة العلية ومحاربة أعدائها ، فصديق الدولة الحقيقي من يخدم الاسلام ، وأعدى أعدائها من يخذل أي مشروع إسلامي في أي مكان ، ولا خير لها في إصلاح يضع أساسه يهود أوربا في سلانيك ، ويؤيدهم فيه ملاحدة الروملي والاناطول، وانشايعهم عليه المندوب الاخرق ، ومحرره البذيء الاحمق ، وتضافروا على نصر الباطل وخذل الحق ، نعم اننا نكشف الستر ، ونفشي ذلك السر ، الذي أشرنا اليه في فاتحة هذه السنة ، ولا نخشى في ذلك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، فاننا لم نحلف عليه يمينا ، ولم نعاهد عليه أحدا عهدا ، وانما جاءنا من مصادر شتى في الآستانة يتمنى رواتها لو يعرفه المسلمون ، ولكنهم لا يأذنون الآن بذكر أسمائهم ، ولا الاشارة الى سماتهم ، بل سمعنا بآذاننا ، وشهدنا بأنفسنا ، في مقام الجهر ، لا في زوايا السر ، ما لا يمكن دفعه ، ولا يستطاع دحضه ،

باب المراسلة والمناظرة

﴿ نهضة التعليم الاسلامي في سملك دابل ﴾

بعد حمد الله والصلاة والسلام على المصلح الأعظم سيدنا محمد وآله وصحبه نقدم تحياتنا الخالصة لحضرة الامام العلامة الداعي الى الله على بصيرة الغيور على الملة الاسلامية حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء

سيدي انا لما نعلمه من تفانيكم في خدمة الانسانية عموما والمسلمين خصوصا الذي نرى أعظم شاهد عليه انتشار مجلتكم الغراء في أرجاء العالم وما لها من التأثير العجيب في استنهاض همم المسلمين الى ما يعلي شأنهم ويأخذ بهم الى الطريق الأقوم وتحسين حالاتهم الادبية والمادية ولما نعلم من شغفكم بالاطلاع على ما يتجدد من حركات التقدم بين المسلمين في هذه الجهات والطرق التي يسلكونها للرجوع الى أحوال دينهم القويم وما جاء به سيد المرسلين وما كان عليه السلف الصالح من التخلق بأخلاق القرآن العزيز والتأدب بآدابه والسير في حالاتهم الاجتماعية على ذلك الدستور الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الصالح لكل زمان ومكان الموافق لحالة أي جنس من الاجناس البشرية ـ انا لما نعلم كل ذلك منكم أحببنا أن نبشركم ان حركة تقدم المسلمين في كل حالاتهم بجهاتنا لا تزال في تقدم مستمر وقد أدرك جميع العقلاء أن لا سبيل الى نيل ما يؤملون الا بالعلم الذي به تتنور الاذهان وتتثقف العقول وقضية مسلمة تكاد تكون مجمعا عليها عند سائر الامم ولهذا لهجت الالسن وقامت الخطباء وكتبت الكتاب التعليم التعليم العلم العلم حتى أصبحت فكرة التعليم هي الشائعة هنا وقد انشئت في المدن الكبرى عدة مدارس وكتاتيب وهي وان كانت لم تبلغ الدرجة المطلوبة الا أنها الآن عاملة على احداث حركة فكرية لا يستهان بها يصحبها ترق في الأخلاق والآداب وهي سائرة على سنة النمو الطبيعي ولا بد يوما أن يكون لها شأن يذكر في العالم الاسلامي

ونبشركم أيضا وهو ما جعلنا نتجاسر على مكاتبتكم من غير سابق معرفة انا قد وفقنا بعونه تعالى الى إقامة مدرسة بقريتنا المسماة (سملك دابل) التي لا تبعد عن مدينة (سورت) الا بمسافة قريبة بجهة الهند ، هذه المدرسة تعاون على انشائها أعيان المسلمين في القرية المذكورة وأول اكتتاب سمحت به أنفس أولئك الكرام لانشاء هذا المعهد العلمي يقدر بأربعين ألف روبية ثم تعاونوا على اخذ عقار تكفي غلته نفقات المدرسة تأسست منها المدرسة منذ سنتين باسم (مدرسة تعليم الدين) أما العلوم التي تدرس فيها فانما هي العلوم الدينية والقرآن الشريف والخط العربي والفارسي والاوربي والانكليزي والقزاري مع تعليم هذه اللغات الخمس ويدرس فيها علم التاريخ الاسلامي بوجه خاص مع بقية التواريخ بوجه أعم وتدرس فيها أيضا مبادىء العلوم الاخرى . أما المدرسون في هذه المدرسة فكلهم من مسلمي الهنود وتتكفل هذه المدرسة بتعليم أولاد الفقراء مجانا وتقوم بكل مايلزم لهم من السكنى والنفقة والكسوة وغير ذلك حتى من المكملات الغير الضرورية كل ذلك رغبة في نشر العلم وتربية الناشئين تربية دينية تهذيبية تزرع في قلوبهم حب الخير وتقدح في صدورهم زناد الغيرة وتحثهم على النشاط والجد والسعي الى كل ما يعلي شأنهم وبلادهم وقد أنشئت حتى الآن لهذه المدرسة فروع عديدة في نواحي القرية المذكورة وكلها عامرة بالتلاميذ وترسل هذه المدرسة الى نواحي القرية والاماكن النائية قليلا عنها المعمورة بالفلاحين المسلمين ترسل اليها بعثات تدعوهم الى الدين الحق وتعلمهم واجباته الاولية وتعود هذه البعثات يتبعها من أولاد المسلمين الفقراء وغيرهم عدد غير قليل كلهم يهاجرون من أماكنهم رغبة في التعليم والمدرسة تتكفل بكل مايلزم لهؤلاء الغرباء وكل تلميذ يدخل في هذه المدرسة لا يكون لوليه ان يخرجه من المدرسة قبل ان يمضي عليه فيها ثلاث سنوات على الاقل و بالجملة فنحن بتوفيق الله سائرون بهذه المدرسة الى طريق التقدم راجين من كل من تجمعنا معهم الجامعة الاسلامية والشريعة مد يد المساعدة الينا بالافكار السديدة والآراء الحيدة فالمرء كثير بأخيه ولولا ضيق المقام لشرحنا لكم من أخبار هذه المدرسة مار بما أحببتم الاطلاع عليه ور بما بعد هذا أرسلنا اليكم الرسالة التي تطبع رأس كل سنة مبينا فيها من تنجبهم مدرسة

التعليم الديني وفي أي العلوم وعدد التلاميذ والمرسلين وقدر المصروفات والتبرعات وكيفية اخراج ذلك ولولا انها مطبوعة باللغة الاوردية لارسلنا اليكم منها نسخة الآن لكن عسى نحصل فرصة لترجمها الى العربية فترسلها اليكم أو نرسل اليكم رسالة السنة القادمة لقرب موعدها

وفي الختام نمد يد الفاقة الى مساعدتكم وذلك بأن تسعفونا بإرسال مجلتكم المنار لهذه المدرسة مساعدة لاخوانكم في الدين ولكم من الله مزيد الاجر وفي محلنا هذا قل ان توجد المجلات والجرائد العربية ونحن كثيروا التلهف الى انتشارها هنا لنطلع على ما عليه اخواننا بجهاتكم وما هي المسافة التي قد قطعوها في سيرهم العلمي ونطلع على أحوال الدول الاسلامية بتلك الجهات ولا سيما ما يتجدد من أخبار دولتنا العلية وما هو مركزها اليوم بين دول الأرض بعد أن أصبحت حكومتها دستورية موافقة لروح العصر، وبناء على ذلك فنحن نطلب منكم أن تلفتوا أنظار أهل الجرائد المصرية والبيروتية والتي تصدر بالآستانة بأن يمنّ علينا من شاء منهم بإرسال جريدته وله منا مزيد الشكر والامتنان وكذلك المؤلفون والمتصدقون بالكتب العلمية من سمحت نفسه منهم بإرسال كتاب أو كتب لمكتب هذه المدرسة فنحن له من الشاكرين ويقلدنا بذلك منة لا نستطيع القيام بحق شكرها ويخدم بني ملته خدمة يحفظها له التاريخ

أما مجلتكم فلا تخيبوا آمالنا بتأخير ارسالها كما ان ثقتنا باخلاصكم في خدمة المسلمين تجعلنا لا نشك في مساعدتكم وان تفضلتم بارسال نسخة من تفسير الاستاذ الامام لحاجتنا اليها شديدة جدا. أكتب لكم هذا وأنا الآن بسرباية جزيرة جاوه وأتيت اليها من مدة قريبة لاستنباض مواطني المهاجرين بهذه الديار وحثهم على مديد المساعدة على احياء العلم ونشره ببلادهم محبكم حسن أحمد منصور

خادم مدرسة تعليم الدين

(المنار) نشكر للكاتب ولسائر أهل الغيرة القائمين بأمر هذه المدرسة والمتبرعين لها حسن سعيهم ونرغب الى الكاتب أن يعجل بارسال الرسالة التي وعد بها مترجمة بالعربية وان يبين لنا أسماء الكتب العربية التي تدرس في المدرسة لنبدي رأينا فيها وسنرسل المنار وغيره من الجرائد للمدرسة إن شاء الله تعالى

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ النسائيات ﴾

كنا نقرأ في « الجريدة » مقالات في شؤون النساء عنوانها العام « النسائيات » بامضاء « باحثة بالبادية » وكنت ظننت عند قراءة أول ما اطلعت عليه بهذا الامضاء ان كاتبه رجل ثم علمت انه من إنشاء « الكاتبة الشاعرة الاديبة « ملك » ناصف كريمة صديقنا حفني بك ناصف وقرينة صديقنا عبد الستار الباسل الزعيم في قبيلة الرماح العربية التي تقيم في جهة الفيوم وكأن الكاتبة بدأت بما كتبته للجريدة وأمضته بلقب « باحثة بالبادية » وهي في دارها التي هناك بجوار القبيلة وان كانت دار مقامها عامة السنة في القاهرة

تربت الكاتبة في حجر والدها ومقامه في العلم والادب والنظم والنثر معروف فهو من الرعيل الاول الذين تخرجوا في مدرسة دار العلوم بعد الدراسة في الازهر وأخذ عن الاستاذ الامام ثم علم وصنف ثم صار قاضياً في المحاكم الاهلية فقتل الزمان علماً وخبراً وآثار علمه وأدبه مدروسة غير دراسة ، وتعلمت في المدرسة السنية الأميرية حتى صارت من المعلمات ، ثم اقترنت بالرجل البدوي الحضري الذي عرف أوربا كما عرف القاهرة ، وخبر الاحوال الاجتماعية البادية والحاضرة ، وهو من مؤسسي حزب الامة ولهذا خصت قرينته « الجريدة » بمقالاتها . وغرضنا من هذا البيان أن يعرف القارئ بأن صاحبة مقالات النسائيات جدرة بذكائها الفطري والوراثي وبتربيتها المنزلية والمدرسية ثم صيرورتها ربة بيت وقرينة بعل يعرف قيمة العلم والادب والاصلاح جديرة بأن تكتب ما ترجى فائدته في النسائيات التي هي أهم المسائل الاجتماعية في مصر والعالم الاسلامي المدني في هذا العصر

تغيرت حال الاجتماع في المدائن الاسلامية بقدر انتشار التعليم العصري فيها واختلاط أهلها بالافرنج والمتفرنجين فتجددت لكثير من الرجال آراء ورغبات فيما ينبغي أن تكون عليه بيوتهم ونساؤهم والنساء لا يشعرن بالحاجة الى تغيير ما في نظام البيوت

ولا في معارفهن وآدابهن وعادهن . واقتضت تلك الرغبات في بعض الرجال أن يعلموا البنات كما يعلمون الصبيان في المدارس العصرية التي أنشأتها الجمعيات النصرانية الافرنجية ثم المدارس التي أنشأتها الحكومة ثم الاهالي لمحاكاة مدارس الافرنج وتقليداً لهم فيها . ولما تعلم بعض البنات صار فيهن من يرغبن في يرغب فيه بعض المتعلمين من التغيير ولكن الراغبات في ذلك من المتعلمات أقل من الراغبين فيه، على أن المتعلمات أقل من المتعلمين

يختلف المفكرون في هذه المسألة اختلافا كبيرا فمنهم من يرى انه ينبغي لنا تقليد الافرنج حذو القذة بالقذة ومنهم من يرى أن ذلك أضر علينا من جهل النساء وبين هذين الطرفين آراء كثيرة ، والحق الذي لاريب فيه هو انه لايمكن ان ينتظم حال الحضارة الاسلامية الا بتربية البنات وتعليمهن ولذلك قلت في فاتحة العدد الاول من منار السنة الاولى عند بيان مقاصد الصحيفة ، وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين ، ولكنني لم اشرح هذا المقصد كثيرا كما شرحت غيره من مقاصد المنار لانني أرى ان التربية والتعليم لايفيدان الفائدة التي نحتاج اليها الا اذا قامت بهما الجمعيات الخيرية الملية دون الحكومة ودون الافراد الذين ينشئون المدارس لاجل الكسب فكنت لهذا أطالب الاستاذ الامام المرة بعد المرة بانشاء معهد خاص لتربية البنات بالعمل وتعليمهن يكون تابعا للجمعية الخيرية الاسلامية ، وكان رحمه الله تعالى يقول ان المال الخاص بالتعليم في الجمعية لا يكفي لهذا العمل فلا بد من انتظار فرصة لفتح اكتتاب لذلك وكنا ننتظر هذه الفرصة ونرجئ القول في الحاجة الى هـذا التغيير في حال نسائنا وفي طريقه وكيفيته الى وقت الشروع في العمل ، حتى لا يكون القول مثاراً للمراء والجدل

ما فتحنا باب البحث والجدل في المسألة ولكن سخر الله له قاسم بك أمين ففتحه هنا بكتابه (تحرير المرأة) اذ كتب في مسألة الحجاب ما اسخط السواد الاعظم من الناس فردوا عليه في الجرائد والمصنفات الخاصة وبينوا آراءهم في التربية والتعليم النافعين لترقية النساء

ثارت الرياح في ذلك عند ظهور كتاب تحرير المرأة ثم كتاب (المرأة الجديدة) الذى رد به قاسم على المعترضين ثم سكتت زمناً وكاد يغلق باب البحث فيه لولا أن فتحت « الجريدة » مصراعيه لغير واحد من الكتاب وفي أثناء ذلك دخلت صاحبة

مقالات (النسائيات) في مضمار البحث مناضلة مناظرة للكاتبين من الرجال ، ومظهرة لهم مالا يعرفون من شؤون النساء ، ثم دعت النساء مرتين الى سماع خطبتين لها إحداهما في شؤونهن العامة وما ينبغي أن يكن عليه في البيوت والثانية في المقارنة بين المرأتين المصرية والغربية وبيان مايصلح العمل به وأجابها الى سماعهما المئات من المصريات وقد نشرناها في المنار

الحق أقول أن ما كتبته هذه الكاتبة في بدايتها خير مما كتبه الكثيرون من الرجال عبارة ورأياً فاكثر الرجال جاؤا بالآراء النظرية والاهواء النفسية، أو تقليد الافرنج والمتفرنجين ، وهي قد بنت كلامها على اجتهاد واستقلال يرجع الى أصول ثلاثة أحدها الدين وثانيها الاختبار وثالثها مصلحة المرأة المصرية ، ومن فروع هذا الاصل الأخير استنكارها تزوج المصريين بالافرنجيات والتركيات ، وانا لنقرها على هذه الاصول ، وإن كنا نخالفها في بعض الفروع ، ونشهد أن ما كتبته مفيد للقارئين والقارئات ، ونشكر هاشكر المستزيد من هذه الفوائد ، ونهنئ بها بيت الزوج وبيت الوالد

طبع الجزء الاول من « النسائيات » في منتصف العام الماضي فكان ١٤٦ صفحة وطبع معه تعاريظ من أرباب القلم المشهورين بلغت ٢٠ صفحة وافتتح بمقدمة حكيمة لأحمد لطفي بك السيد مدير الجريدة أحسن ما فيها مسألة « المرأة والدين » وثمن النسخة من هذا الجزء عشرة قروش صحيحة فعسى ان ترى الكاتبة من رواج كتابها مايبعث همتها الى زيادة العناية ويرغب غيرها من الكاتبات في الكتابة والخطابة والتأليف

* * *

﴿ البرهان الصريح في بشائر النبي والمسيح (ص) ﴾

جمع هذا الكتاب من نصوص العهد القديم والعهد الجديد احمد افندي ترجمان وهو رجل واسع الاطلاع في كتب أهل الكتاب الدينية كثير الحفظ منها قوي الاستحضار لها وأعانه على تحريره وترجمة النصوص من الاصل العبراني محمد افندي حبيب صاحب مكتبة برج بابل « بموافقة عالمين من علماء الاسرائيلية على صحة النصوص العبرانية والكلدانية » وفي الكتاب فوائد كثيرة دينية وتاريخية ومقارنات غريبة بين النصوص وتفسير بعضها ببعض لايستغني عنا من تمنيهم هذه المباحث . وثمن النسخة منه قرشان ويطلب من مكتبة المنار بمصر

﴿ مصادر المسيحية وأصول النصرانية ﴾

« رسالة لاهوتية تاريخية تبين المصادر الاصلية للدين المسيحي القديم وما ورد فيه من توحيد وتثليث واثنينية وتسبيع وتتسيع ومقبول ومرفوض من العناصر الدينية القديمة كالمصرية والبرهمية والبوذية والبابلية والاشورية والميترازمية لمؤلفها محمد افندي حبيب صاحب مكتبة برج بابل في مصر مؤسس حزب الله » وهذه الرسالة مأخوذة من الكتب الدينية والتاريخية المكتوبة باللغة الانكليزية في الغالب وثمنها خمسة مليمات وتطلب من مؤلفها

* * *

« الدرة اليتيمة لابن المقفع »

طبعت هذه الرسالة الادبية الطبعة الخامسة في مطبعة الرغائب بمصر وتطلب من مكتبتها وهي غنية بشهرتها عن الوصف

* * *

« دروس التاريخ الاسلامي »

كتاب مختصر مفيد في تاريخ المسلمين يؤلفه الشيخ محيي الدين الخياط ويطبع في بيروت بنفقة المكتبة الاهلية وقد صدر منه ثلاثة أجزاء أو ثلاثة أقسام كاعبر المؤلف الاول في مجمل من السيرة النبوية والثاني في مجمل من تاريخ الخلفاء الراشدين والثالث في مجمل تاريخ دولة بني أمية . ويقرب الجزء من ٩٠ أو ١٠٠ صفحة مقسمة الى دروس في كل درس مسائل مختصرة لكل مسألة عنوان وفي آخره خلاصة وأسئلة فيصلح هذا الكتاب أن يدرس في المدارس الابتدائية لسهولته وحسن ترتيبه على أنه للعارفين كالمذكرات الوجيزة التي تسمى بالاعجمية « النوتة » وثمن الجزء قرشان ونصف ويباع في المكتبة الاهلية ببيروت والمكتبة السلفية بمصر

* * *

(المشير) جريدة جديدة اسبوعية « اسلامية اصلاحية عمومية » ظهرت بتونس في أوائل هذا الشهر وقد كتب الينا من نثق بعلمه ورأيه من الثناء على صاحبها « الطيب بن عيسى » والثقة بحسن قصده ما جعلنا نتمنى لها الثبات والنفع العام وعسى أن يعضدها أهل الغيرة والرأي

(تصحيح) في السطر ٦ ص ٣ كلمة عادوا وصوابها « عاد »

باب الأخبار والآراء

﴿ أعظم رجل في العالم ﴾

اختلف أحرار الباحثين في أعظم رجل ظهر في العالم وقد سبق لبعض الجرائد الاوروبية الاقتراح على قرائها أن يكتبوا اليها آراءهم في ذلك وكان منهم من صرح بأن رأيه ان أعظم رجل ظهر في البشر هو سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين . قد اقترحت هذا الاقتراح وآخر في معناه من عهد قريب جريدة الوطن البيروتية وصاحبها مسيحي وكان أول من أجابه كاتب من أحرار الطائفة المسيحية قالت الجريدة :

سألنا فريقا من الفضلاء عمن هو أعظم رجل في العالم . وفي سوريا ولماذا فوردتنا الاجوبة الآتية ننشرها بحسب ورودها

(١)

من هو أعظم رجل في العالم ولماذا ؟

أعظم رجال العالم على الاطلاق رجل وضع في عشر سنين دينا وفلسفة وشريعة اجتماعية وقوانين مدنية وغير شريعة الحرب وأنشأ أمة ودولة طاولت الدهر وكان أميا ذلك هو :

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي العربي نبي المسلمين

وقد تدارك النبي لمشروعه العظيم كل حاجاته فوفر لامته ولتابعيه والملك الذي أنشأه أسباب الانتشار والخلود بحيث إذا انقطع المسلم الى القرآن والحديث وجد فيهما مايهمه من أمور دينه ودنياه وجعل المسلمين مؤتمرا ينعقد كل عام في مكة ومن تنبه الى فرض الحج على من يملك الراحلة والنفقة واسقاطه عمن لا يملكهما أدرك ان الغاية من الحج اجتماع الموسرين والوجوه من الامة للبحث في شؤون جامعتهم وأمور سياستها واجتماعها وتعاونها

وتدارك أمر الفقير بالزكاة المفروضة على كل مسلم بحيث اذا أداها المسلمون على حقها لم يبق في الامة فقير

وجعل نواة أبدية للاسلام بكون القرآن كتابا عربيا يتحتم على كل مسلم ان يتفهمه بلغة العرب وإذا لم يكن في هذا غير ان فهم العربية حتم على كل عالم وامام يكفي به جامعة لسان المسلمين

ومهد طريق النبوغ لافراد الامة بكون المسلم لا يفضل المسلم الا بالتقوى فكان الاسلام جمهورية حقيقية يختار المسلمون رئيسها الذي هو الخليفة وقد ساروا على هذه السنة حينا من الدهر ولن تزال المبايعة بالخلافة رمزا من رموزها

وسهل اعتناق الاسلام لغير العرب بقوله لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي

ويسر لغير المسلمين العيش برخاء في بلاد الاسلام بقوله « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله »

ونظر في أمر « العائلة » فرتب أمور الزواج والتناسل والتوارث ورفع من شأن المرأة

وعاد الى الامور المدنية فوضع قوانين وقضاء للنظر في شؤون الافراد

ولم يهمل مالية الدولة بل وضع سننا لبيت المال

وكان للعلم من همه نصيب وافر فجعل الحكمة ضالة المؤمن وأوصاهم بأن يطلبوا العلم ولو في الصين فكان لهذه الوصية شأن عظيم في اقتباس المسلمين العلم من كل أبوابه وازدهاره في أيامهم

أفلا يكون الذي فعل كل هذا أعظم الرجال ؟

من هو أعظم رجل في سوريا ولماذا ؟

لو عرف التاريخ اسم الفينيقي الذي اخترع الكتابة بالحروف لكان جوابي اسم ذلك الرجل

واذا صح أن نعد صلاح الدين الأيوبي سوريا لموته في سورية ولإقامة أبيه فيها فهو أعظم رجالها لانه انتصر في تسعين موقعة وكان أعدل الملوك واكرمهم خلقا ويدا فقد مات ولم يخلف دارا ولا عقارا ولم يكن في خزانته يوم توفي غير ٤٧ درهما

أما والتاريخ لا يعرف ذاك والناس على سورية هذا اعتراض فاني أرى أبا العلاء المعري السوري القح الذي كان شاعرا كبيرا ومنشئا بليغا وفيلسوفا عظيما وانسانا حكيما ونابغة في حدة ذهنه وفي حرية قلبه ولسانه أعظم رجال سوريا

داود مجاعص

﴿ اعتصام الفئتين الكبريين من المسلمين ﴾

جاء في بعض جرائد العراق مانصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

بعد الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه المنتخبين . قد رأينا ان اختلاف الخمسة الفرق الاسلامية في بعض مالايتعلق بأصول الديانة والشقاق بين طبقات المسلمين هو السبب الموجب لانحطاط دول الاسلام واستيلاء الاجانب على معظم ممالكها فلاجل المحافظة على كلمة الجامعة الدينية والمدافعة عن الشرعة الشريفة المحمدية قد اتفقت الفتاوى من المجتهدين العظام الذين هم رؤساء الشيعة الجعفرية ومن علماء أهل السنة المقيمين بدار السلام على وجوب الاعتصام بحبل الاسلام كما أمر الله به فقال عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)وعلى وجوب اتحاد كافة المسلمين في حفظ بيضة الاسلام وصون جميع الممالك الاسلامية من العثمانية والايرانية عن تشبثات الدول الاجنبية وهجمات السلطة الخارجية وقد اتحد الرأي منا جميعاً تحفظاً على الحوزة الاسلامية ان نبذل تمام قوانا ونفوذنا في ذلك ولا نكف عن كل اقدام يقتضيه المقام واثقين بكمال اتحاد الدولتين العليتين الاسلاميتين وعناية كل منهما بحفظ استقلال الاخرى وحقوقها وقد أعلن لعموم الملة الاسلامية وجوب السكون والتعاون في حفظ استقلال دولتها العلية وحماية مملكتها وصيانة ثغورها عن مداخلة الاجانب فيكونوا كما قال الله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ونذكر عامة المسلمين الاخوة التي عقدها الله تعالى بين المؤمنين ونعلن لهم وجوب التحرز والتجنب عما يوجب الشقاق والنفاق وان يبذلوا جهدهم في نواميس الامة والتعاون والتعاضد وحسن المواظبة على اتفاق الكلمة حتى تصان الرابطة الشريفة المحمدية ويحفظ مقام الدولتين العثمانية والايرانية أدام الله تعالى شوكتهما بمحمد وآله وصحبه خير البرية

(الاحقر شيخ الشريعة الاصفهاني) (الراجي اسمعيل بن الصدر العاملي)

(المنار) لكل عمل وحال أجل ولكل أجل كتاب وقد طال الامد على التفرق والتدابر بين المسلمين وقد بح صوتنا وحفيت أقلامنا من كثرة الدعوة الى الاعتصام ولكن كان المفرقون يهدمون ما نبني حتى قام يوهم الناس بعض المفتونين بالرياسة أننا غيرنا طريقتنا لاننا نشرنا تلك الرسالة المعهودة لسائح في العراق، وما كنا مغيرين، ولكن كانوا هم المفرقين، ولم ينس القراء خطابنا في العام الماضي لعلماء الطائفتين، بالقيام بما يجب من جمع الكلمة في الدولتين، ونحمد الله أن أجاب دعاءنا، وهذا أول صوت من الفريقين في تلبية طلبنا، وانا لنرجو فوق ذلك اعتصاما واتحاداً :

البابية البهائية

ضاق هذا الجزء عن متابعة الكلام في الباطنية سلف هؤلاء البهائية وقد جرى بيني وبين أحد كبار رجال القضاء في الاسكندرية حديث في شأن عباس افندي زعيمهم وكنا بدار محمد سعيد باشا رئيس النظار بمصر وقد اتفق جلوسنا في احدى الحجرات ليلة احتفال الرئيس بعيد جلوس الامير وكان معنا بعض العلماء الوجهاء افتتح محدثي الكلام بمعاتبتي على ما كتبت في شأن عباس أفندي وأطراه أشد الإطراء وشهد له بالاسلام الكامل علما وحكمة وعملا فقال انه يؤدي الصلوات الخمس وغيرها من الفرائض والنوافل ويبين من فضائل الاسلام ما لا يكاد يستطيعه سواه ويسعى في نشره في أمريكة وسواها ويحاول جمع الشعوب عليه فكان سبب دخول الملايين في هذا الدين المبين قال ولو سواك طعن في إسلامه وقال فيه ما قلت واكثر مما قلت لما كنا نبالي بقوله ولكن لكلامك من القيمة والاحترام ماليس لغيره ولذلك ساءني ان تتكلم في هذا الرجل العظيم وأنت لم تعرفه معرفة اختبار بما لعلك أخذته من غمر جاهل أوذي غمر متجاهل. واني أدعوك الى ضيافتي بالاسكندرية واجمع بينك وبين الرجل وانا موقن بأنك تعجب بدينه وعقله وعلمه وآدابه ابذابة وفصاحته الخلابة، هذا حاصل معنى ماقاله هذا اللائم المعجب بالرجل

وبما قلته له إنني أسلم بما سمعته منك ومن سواك عن شمائل الرجل وأدبه وفصاحته ولم أكتب فيه الا مايدل على هذا وهذا التسليم لاينقض شيئا من بناء اعتقادي واختباري وان قواعد هذا الاعتقاد ليست مأخوذة عن أعداء الرجل وأعداء

قومه بل منهم ومن كتبهم فقد جرى بيني وبين داعيتهم هنا مناظرات متعددة وثبت عندي أنهم من الباطنية الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم أنهم منهم وعلى ملتهم ولا يطلبون الا الاصلاح فيها ، وهؤلاء البهائية اذا دعوا النصارى في أمريكة مثلا الى نحلتهم قالوا لهم إنا نصارى مثلكم نؤمن بألوهية المسيح وبمجيئه في يوم الدين - أو الدينونة كما تقول النصارى - وقد جاء المسيح كما وعد في ناسوت البهاء وآمنا به واتبعناه ، وكذلك يقولون للمسلمين إنا منكم ونطلب إصلاح حالكم باتباع المهدي المنتظر والمسيح الموعود به ، بل يقولون ان دين برهما ودين بوذه ودين زردشت حق ، ويقولون لهؤلاء اذا لقوهم إنا منكم وان ربنا وربكم هو البهاء أو بهاء الله دفين عكا من بلاد الشام ، ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لاحد دفعة واحدة وانما يرتقون به درجة بعد أخرى . وقد وضع سلفهم الاولون هذه الدرجات وجروا عليها وقلدهم الماسون فيها (أي الدرجات فقط) وقصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من ألوانها

ولما بالغ محدثي بإنكار ذلك قلت له إنني لا أدعي معرفة الرجل والحكم عليه بما ظهر لي منه نفسه وانما احكم عليه من حيث هو زعيم هؤلاء القوم باعترافهم واعترافه وقد بلغني عنه نفسه انه يدعي الإسلام ويجاري أهله في عباداتهم عند ما يكون معهم ، ونحن لا نقول لمن اظهر الاسلام انك لست بمسلم اتباعا للظن ولكننا نعلم من تاريخ هؤلاء الباطنية مثل هذا فقد كان العبيديون بمصر يدعون أنهم مسلمون ويبثون دعاتهم في الناس تحويلهم عن الاسلام الى عبادة إمامهم المعصوم بزعمهم . فاذا كان عباس أفندي مسلما حقيقة لا بالمعنى الذي تقوله الباطنية عادة فليكتب لنا مقالة بخطه وإمضائه يصرح فيها بالنص الصريح بأن سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب هو خاتم النبيين والمرسلين لا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وان القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأنبيائه ورسله وان معانيه الصحيحة هي ما دلت عليه مفرداته وأساليبه العربية

فقال محدثي البارع كيف يمكن أن تقول للبريء انك متهم بالجناية وينبغي أن تتبرأ منها وتدافع عن نفسك ؟ قلت إننا لا نطالبه أن يكتب ذلك بأسلوب الدفاع وانما

نطلب أن يكتبه في مقال يبين فيه حقيقة الاسلام إرشادا للناس وتعليما أوردا على المعترضين ، ومثل هذا يقع كثيرا ، ولذلك اكتفينا منه بذلك ولم نكلفه أن يتبرأ مما سمعناه من أتباعه من القول بألوهية والده ونسخه للشريعة الاسلامية كجعل الصلوات ثنتين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين ، فان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فانا نكتب اليه أسئلة ونطالبه بالجواب عنها فهل يضمن لنا ذلك المعجب باسلامه انه يجيب عنها ؟؟

(الماسون في الدولة العثمانية)

كان السلطان عبد الحميد عدواً للجمعية الماسونية لاعتقاده أنها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وإزالة السلطة الدينية من حكومات الأرض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها ، وقد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا شرقاً عثمانياً أستاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقي وأنصارها من اليهود وغيرهم ، ولاجل هذا نرى طلعت بك لا يبالي بسخط الامة ولا برضاها في ادارته التي استثنت منها المملكة بالسنة ولاياتها كلها الا ولاية سلانيك وكذا أدرنة فيما أظن والسنة مبعوثيها حتى بعض الاتحاديين ، وسلانيك هي الآن مركز السلطة الحقيقية في المملكة وإنما الاستانة مركز التنفيذ كأن حظ عبد الحميد أن تكون السلطة الحقيقية حيث يكون ما دام حياً وان لم تكن في يده الخاطئة

وانا نتمنى أن لا يكون تصرف طلعت بك في الماسونية كتصرفه في نظارة الداخلية فاني والله لم أسمع من أحد في الاستانة ولا في غيرها شهادة له بحسن التصرف ولا أحصي عدد الشهادات التي سمعتها عن سوء تصرفه الذي ظهر أثره في اضطراب اكثر ولايات المملكة فسوء تصرفه في مسألة الارنؤد قد عرف الان وان لم تظهر عواقبه السيئة كلها وأما سوء تصرفه في مسألة اليمن فقد ظهرت بوادره ونعوذ بالله من أواخره

نتمنى أن يكون تصرفه في الماسونية أحسن حتى لا يجني عليها ولا على الملة والدولة فان الفرق بيننا وبين فرنسة والبورتغال بعيد جدا وان كان يراه هو والدكتور ناظم بك وبعض الزعماء قريباً فليتدبروا ولا يغتروا بقوة الجمعية ولا بغيرها فطبيعة الاجتماع أقوى من تدبير الجمعيات وقد يكون مع المستعجل الزلل